

أساليب التَّلطف في اللغة العربية

إعداد الطالبة

شيرين بسام فرحان سمارة

بإشراف الدكتور

منير تيسير شطناوي
أستاذ مشارك

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغويات

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة الهاشمية

الزرقاء – الأردن

2013/12/17

نوقشت هذه الرسالة والموسومة بـــ (أساليب التلطف في اللغة العربية) بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٧.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. منير تيسير شطناوي، مشرفا ورئيسا أستاذ مشارك في الصوتيات الجامعة الهاشمية	....
أ.د عبد الكريم مجاهد مرداوي، عضواً أستاذ اللغة والنحو الجامعة الهاشمية	....
د. خلود إبراهيم العموش، عضواً أستاذ مشارك في اللغة والنحو الجامعة الهاشمية	....
د. عادل سليمان بقاعين، عضواً خارجياً أستاذ مشارك في اللغة والنحو جامعة مؤتة	....

الإهداء

إلى من كانا الأبجدية الأولى، في أول كلمة تلفظتُ بها، إلى مَنْ بدأت الحياة بهما، وأُرهقا في السعي الدؤوب لنجاحي، ولمن كانت الحياة لهما وبهما، مزنرة بأبجدية ضفائرهما، إلى من لا تغيب الشمس إلا بإنحناءة من قلبيهما، لهما الشكر الموفور، **والديّ**، حفظكما الله، وأمدَّ في عمريكما، ووهبني رضاكما.

إلى خالي **حسام أبو طبنجة**؛ لِما حظيتُ من محبته ودعمه، وعنفوانه، ومشاكساته، عبر سنوات الجامعة، إلى منْ كنتُ فلذة كبده، وكنت عينه، وكان قرة قلبي، إليه كلمات لن تفيَ حقه في الشكر على ما بذل ويبذل معي من عبق السؤال والحب.

إلى أخواتي وإخوتي، بدءًا من شكرهما على مساندتي لإنجاز رسالتي هذه، وانتهاءً إلى محبتهم ونُبلهم.

إلى إكسير العلم الذي لن أفيَ حقه في الشكر على ما أمدّني من عطاء وعلم ومعرفة إلى الدكتور **عيسى برهومة**، أطال الله في عمره، وجعله منبرا يزنّر العلم نهوضا.

إلى كل من وقف إلى جانبي وساندني، ودعمني في الرفض والقبول لإتمام هذه الرسالة لكل من وهبني نصيحة أو علما أو منفعة أو كتابا، أو حملّني وِزْر هذا العلم.

إلى صديقاتي الوفيّات المخلصات الجادات، الداعمات للعلم والمعرفة، القائمات على بناء مجتمع لا يعرف المستحيل.

إلى كل مستفيد من هذه الرسالة، له شكري وعرفاني، داعيةً المولى عزَّ ثناؤه أن يوفقني، وأن يجعله في ميزان حسناتي.

أهدي هذه الدّراسة لكل محبّ للعلم وللغة العربية

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، على هذا الفضل الكريم، واللهم صلِّ وسلم على خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار.

الشكر لله عزَّ ثناؤه أن منحني من فضلهِ وكرمه، فهو مَنْ له الفضل والحمد من قبل ومن بعد.

كما أتقدَّم بالشكر الجزيل من الأستاذ الدكتور **منير شطناوي،** الذي أشرف على هذا العمل، وعلى ما قدَّمه لي من مساندة وملاحظات، وعلى جهوده ، حتى أُنجزَ هذه الدراسة، فأطال الله في عمره، وجعله معينا لا ينضب، ونورا يشعل بها طرق السالكين.

وأتقدَّم بالشكر إلى أعضاء المناقشة الأبرار، الذين حظيتُ باطلاعهم على هذا العمل، ومنحوني شرف ملاحظاتهم وعلمِهم؛ الأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي، والدكتورة خلود العموش، لهم الشكر الجزيل، على تفضلهم بمناقشة هذه الرِّسالة، وإلى الدكتور عادل بقاعين على نصائحه، وعلى عناء سفره وما حظيتُ به من شرف اطلاعه على عملي.

لكم جميعا الشكر اللامنقطع على ما حظيتُ به اليوم من مناقشتكم.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

قائمة المحتويات

ملخّص باللغة العربية	هـ
قائمة المحتويات	ز
مقدّمة	1
الفصل الأول: اللغة والمجتمع دراسة في ضوء السِّياق وقيم التواصل	7
المبحث الأول: اللغة ظاهرة اجتماعية	9
اللغة نظام	11
اللغة والتطور	14
المبحث الثاني: اللغة والتواصل الاجتماعي	16
المبحث الثالث: اللغة والسِّياق الاجتماعي	19
المبحث الرابع: سمات اللغة	29
الفصل الثاني: التطور الدّلالي	33
المبحث الأول: الدّلالة اللغوية وعلم الدّلالة	37
المبحث الثاني: تعدد المعنى	41
المبحث الثالث: تغيّر المعنى	46
أسباب التغيّر الدّلالي	48
أشكال التغيّر الدّلالي	55
رقي الدّلالة	64
انحطاط الدلالة	65
الفصل الثالث: التّلطف في العربية مثال من اللاممسوس اللغوي	75
المبحث الأول: التّلطف مفهومه، ودوافعه، وأساليبه	76
المبحث الثاني: اللاممسوس اللغوي	85
المبحث الثالث: عوامل اللاممسوس اللغوي	94
المبحث الرابع: المجالات الدلالية للاممسوس اللغوي	98
الخاتمة	115
قائمة المصادر والمراجع	118
ملخّص باللغة الإنكليزية	127

ملخص

أساليب التَّلطف في اللغة العربية

إعداد الطَّالبة

شيرين بسام فرحان سمارة

المشرف

الدكتور منير تيسير شطناوي

أستاذ مشارك

تناولت في هذه الرِّسالة أساليب التلطف في اللغة العربية "اللاممسوس اللغوي أنموذجا"، هادفة إلى استخراج اللاممسوس اللغوي من المخزون التراثي، عبر المعاجم والقواميس، والمصنفات.

استوت هذه الدراسة في ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأول موضوع اللغة والمجتمع، وضم ستة مباحث، بحثت مفهوم اللغة عند القدماء والمحدثين، ونظام اللغة في المبحث الثاني، واللغة والتواصل الاجتماعي، واللغة والتطور، واللغة والسِّياق الاجتماعي، وختم الفصل بالقول على سمات اللغة.

عُني الفصل الثاني بالتطور الدَّلالي، وبيّن كيف تتطور اللغة بدلالتها، وكيف لها أن تُصيّر مفردة مبتذلة راقية؟ وكيف تتحول الألفاظ من قطاعها العام إلى الخاص أو العكس.

وتناولت في الفصل الثالث اللاممسوس اللغوي، ليظهر هنا كيف للمفردة أن تتعرى؟ ومتى تكون مستقبحة ومتى تكون مستحسنة؟

وتوصلت الدَّراسة إلى جملة من النتائج، وهي أنَّ اللاممسوس اللغوي، له جذوره الممتدة في التراث العربي، وقد حظي اللاممسوس اللغوي عند القدماء باهتمامهم وأسبغوا عليه المحسنات اللفظية، وأن المجتمع هو الدور الفعّال في بناء لغة مخفية أو محظورة من الاستعمال، بانفتاح الثقافات أو انغلاقها.

المقدمة:

اللغة وسيلة حوار وتفاهم لا تقف عند حد ولا تسكن إلى حقيقة مفردة، بل هي في ارتحال لا يستقر، وصيرورة دائمة تؤطرها جدلية السؤال والجواب.

تقوم اللغة على أساس التواصل بين المرسل والمستقبل والنص، فكما يقول(غادمير)إنَّ كل منطوق معبر وعقل مفكر وفعل مدبر إنما يتقيد بالسِّياق (الحوار) والاستعمال (التطبيق)[1]، فنحن نحيا داخل اللغة، فهي ليست نسقاً من العلاماتحسب، نعبّر عنها بواسطة ملامس الآلة أو عبر الإذاعة أو بأي واسطة أخرى، بل هي تكتنز أفكارنا وأشواقنا ورؤيتنا نحو الوجود والكون.

ومن هنا كانت اللغة عند الأول (المرسل) مادة لإنشاء الكلم، وتكون واعية عنده أو غير مقصودة، وعند الثاني (المستقبل) تعد مطية لتشقيق المعاني واكتشافها.

إن هذه اللغة تساعدنا على أن نحرر أنفسنا من سجن حواسنا، كما تجردنا_ في الوقت ذاته_ منها بطريقة تضعف من دورها، فأجسادنا إذ تتحرك داخل وسط رمزي، ولأنها من نوع مادي معين، فلديها القدرة على أن تمد نفسها بعيدا عن حدودها الحسية فيما نعرفه باسم الثقافة أو المجتمع أو الثقافة، ودخولنا في النظام الرمزي – اللغة وما اقترن بظهورها– هو الذي أضفى مساحة من الحرية بين أنفسنا ومحدداتنا، بحيث أصبحنا تلك الكائنات المشوشة غير المتماهية مع نفسها المعروفة بالكائنات التاريخية[2]،يلح الغزالي على البعد الاجتماعي في الكلام، مبرزا أن الإنسان دون خطاب لا يكون إلا حبيس ذاته، وهو ما يؤول إلى اعتبار العامل اللغوي صلة الشخص بالجماعة.

يقول ابن خلدون اللغة فعل لساني؛ فاللغة الإنسانية نشاط إنساني مصدره الفكر الإنساني؛ وقد قام بعض الألسنيين بدراسة ما دُعي بالمجال المِراسيالتداولي (pragmatique)

---

[1]غادمير، هانس، فلسفة التأويل، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط2، 2006 ، االناشر لدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت،ص25

[2]ايجلتون، تيري، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، ، ط1، 2005، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ،ص128

حيث يُولي الألسني اهتمامه إلى مستوى ثالث في دراسة اللغة إلى جانب مستوى الصوت والمعنى، وهذا المستوى الثالث هو مستوى الفعل الكلامي أو الفعل اللفظي[1]، وهي في نظره قائمة عند الإنسان؛ لأنه قد امتلك هذه الملكة الإنسانية، وسنجد في هذه الدراسة كيف تعبر اللغة عن هذا القول بأنه فعل لساني، ونشاط إنساني، وستجلى ذلك في الفصل الثاني حين نبسط القول على التطور الدلالي، وفي الفصل الثالث في اللاممسوس اللغوي- وانطلاقا من كثرة أساليب التَّلطف في العربية وشيوعها، ارتأت الباحثة أن تجعل ألفاظ اللاممسوس اللغوي أنموذجا تطبيقيا على هذه الظاهرة.

الدراسات السابقة:

في كتب التراث القديمة نجد العديد من الباحثين الذين اهتموا بهذا الموضوع، لكن لم يتم دراسته دراسة مستوفاة من ناحية اجتماعية لغوية، وكان المصطلح في كتب التراث بين الكناية والاستعارة والتعريض، ولم نجد في كتب المحدثين من اللغويين كتابا خاصا بهذا الموضوع لسنوات طويلة، وصولا إلى كريم زكي حسام الدين فهو يعد من أوائل اللغويين المحدثين الذين عنوا بدراسة المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، فكان كتابه" المحظورات اللغوية" هذا الموضوع في العصر الحديث، وقد استعمل مصطلحي المحظور اللغوي، وتحسين اللفظ والمحسن للتعبير عن مفهوم المحسن اللفظي.

يقع كتاب " المحظورات اللغوية" لكريم حسام الدين[2] في بابين، في كل باب أربعة فصول، في الباب الأول حديث عن مفهوم ظاهرة " المحظورات اللغوية" بشقيها الكلمات المحظورة، والمحسنة من خلال الجوانب الاجتماعية واللغوية لدى الجماعة اللغوية الأولى،

---

[1]زكريا، ميشال، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ، ط1، 1986،الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص13

[2]حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1985

ويعرض المفهوم ، ويعالج المحظور من الأشياء والأفعال، وفي الباب الثاني تناول المجالات الدلالية للمحظور والمحسن من الألفاظ في ضوء كتابَي الكناية للثعالبي، والمنتخب للجرجاني.

والدراسة الثانية هي رسالة دكتوراة أعدها عصام الدين أبو زلال[1] بحث فيها المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، وكانت في أربعة فصول؛ الفصل الأول عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، وتناول فيه مفهوم المصطلح قديما وحديثا، الفصل الثاني عن المجالات الدلالية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، والفصل الثالث عن العلاقات الدلالية بين المحظورات اللغوية والمحسنات اللفظية في القرآن الكريم، الفصل الرابع عن التغير الدلالي للمحظور اللغوي.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة، قلة الكتب الحديثة التي تتناول هذا الموضوع، والتحرج من تناول مثل هذه المواضيع، وخوف الباحثة أحيانا كثيرا من الخوض فيه، والنبش في كتب التراث والمعاجم، وأحيانا كثيرة التردد في تناول هذا الموضوع.

وقد توزّعت الدراسة على ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأول عن اللغة والمجتمع دراسة في ضوء السَّياق وقيم التواصل، من خلالهتحدثت عن اللغة والمجتمع، واللغة والتطور، واللغة والنظام، والتواصل الاجتماعي، وهنا تبحث الباحثة في دور اللغة في التواصل الاجتماعي، وكيف للغة أن تبيّن العلاقات اللغوية ذات طبيعة مركبة، وما هو دور المجتمع في تطور اللغة، وتجديدها، وإحيائها، فاللغة تحمل معطى اجتماعيا وثقافيا.

اللغة شرط الوعي بالذات باعتبارها كيانا متميزا، وهي أيضا الوسيلة التي يكتسب الفرد عبرها تباعدا واستقلالية عن عالم الأشياء الواقعية التي يُنظر إليها في ذاتها، باعتبارها مختلفة عن المفاهيم التي تحمل معناها، ومختلفة أيضا عن الكلمات والرموز التي تحقق المفاهيم ضمن

---

[1]أبو زلال، عصام الدين، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 2001

علاقة التواصل الاجتماعي، وينبغي أن يكون ثمة وسيط بين الإنسان والعالم بين الإنسان والإنسان، بين الذات وتمظهرها، إن الوسيط هو الشرط الضروري والكافي، حالما نريد التفاهم فيما بيننا حول مبادئ عامة ونريد تبادل معطى مشترك[1].

وتظل اللغة بتجلياتها في الاستعمال الجاري ومادتها المتوالدة بلا نهاية موضوعا مفتوحا للوصف والاستعمال فما كان قديما مَحْمَده قد يكون اليوم مستكرهاً من الألفاظ والأوصاف، وتتوالد الألفاظ بتوالد الاستعمال.

وخصصت الفصل الثاني لتطور الدلالة، درست فيه تطور المعنى، وأسبابه، وتضييقه وتوسيعه، وانحطاطه ورقيه، فكلما الفرد توغّل في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره، وأحاسيسه أيضا، لذا يجب أن تُدرس اللغة ونواميسها في إطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها، وبين تاريخ المجتمع؛ لأن اللغة – أي لغة– تعد اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجا للتاريخ الاجتماعي[2].

أفردت الفصل الثالث للاممسوس اللغوي، بحثت فيه اللغة من حيث التطبيق النظري للتطور الدلالي، وكيف للغة أن تُظهر رقيها وانحطاطها، ومتى تكون اللغة متسعة أو ضيقة المعنى، فالأمة كما يرى_ علي عبد الواحد وافي في كتابه اللغة والمجتمع_ في طورها الحضاري الخفيض تكون ألفاظ لغته وتعبيراتها خشنة وجافية، وغليظة، كما أنها تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة وتسميتها بأسمائها الصريحة.

فحين يترقى الشعب في سُلَّم الحضارة؛ فإن لغته تتهذب وألفاظه ترق وتزول عنها الخشونة والصعوبة ويُكْنى عنها بالرمز والإشارة.

---

[1] لاكان، جاك، اللغة، الخيالي والرمزي ، إشراف مصطفى المسنادي، ط1، 2006 ، منشورات الاختلاف، ص103

[2] برهومة، عيسى، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، ط1، 2002، دار الشروق، عمان، ص20

ستكون الدراسة هنا بمفهوم اللاممسوس اللغوي (المحظور اللغوي)، ومن ثم دراسة خاصة بسلسلة الجنس عن العرب من كتب متنوعة ومنتقاة مثل كتاب النفزاوي الروض العاطر، ومن مثل كتب السيوطي الرشف الزلال في السحر الحلال، وكيف هنا كانت اللغة واضحة صريحة بعيدا عن الكناية أو الاستعارة، هنا اللغة معراة، مكشوفة، فهل هنا كانت هذه اللغة فجة قاسية.

في اللاممسوس اللغوي يبدو هنا الثالوث المحرم واضحا وهو (الجنس، الدين، السياسة)، فهذه الكتب وما احتوته القواميس والمعاجم وكتب المفردات هي مستودع اللغة بكلماتها وجملها وتراكيبها.

موضوع هذه الدرَّاسة إشكالي قديماً وحديثاً، فتسربل بوسائل مجازية وإلماحية؛ خشية التصريح به، أو درءاً للأرواح والسحر، أو تعففاً من الإيغال في الألفاظ الصريحة حين الحديث عن الموضوعات الجنسية، إلى غيرها من المسوغات التي اكتنفتها أسباب التلطف والكناية والمجاز، بيْد أن القدماء وضحوا _حين صنّفوا في أبواب الممنوع أو المحظور_ أنهم ما رغبوا في التكسّف، أو خلع رداء اللطف والعفة، بل أدركوا في نشرهم هذه المصنفات اعتبار هذه الممنوعات موضوعاً للدرس، أو مفاكهة للمجالس، وليس تتبعاً للعورات، أو انحرافاً عن الخلق القويم.

ومما يعضد الرأي أن من صنف في اللاممسوس اللغوي من القدماء كان من الفقهاء، وعلماء الدين، وربما يسجل هذا الصنيع للقدماء إدراكهم الواعي في مقاربة الموضوعات المشكلة بجرأة ودقة.

الفصل الأول
اللغة والمجتمع دراسة في ضوء السّياق وقيم التواصل

- تمهيد
- اللغة ظاهرة اجتماعية
- اللغة والنظام
- اللغة والتطور
- اللغة والتواصل الاجتماعي
- اللغة والسِّياق الاجتماعي
- سمات اللغة

تمهيد

تكوَّنت اللغة في أحضان المجتمع يوم أحس الإنسان بالحاجة إلى التواصل فيما بينهم، فكانت الكلمة هي الوسيلة الوحيدة والقيِّمة للتفاهم والاحتكاك الاجتماعي، وقد رسمت الكلمة ملامح المجتمع وبيّنت فكره وملامحه، ومدى علاقاته وروابطه الاجتماعية، فصاغ من الحروف سجلا تاريخيا بارزا احتفظ بمكنون الأمم على مدى العصور.

وقد مُثلت لغة الإنسان في بيئته بمجموعة مختزلة من الحروف لتشكل إرثا ثقافيا واجتماعيا ولغويا، وبالتالي هي صورة مستنسخة عن فكره ومعتقداته؛ ولذا تطورت اللغة مع تطور الإنسان، ففي البدء لم يكن يعرف الإنسان سوى الإشارة والإيماءة ومحاكاة الطبيعة، ومن ثمَّ انتقل إلى اللغة حين تطورتوتنوعت حاجاته.

وتعد القدرة على الاتصال شرطا أساسيا وضروريا لأي مجتمع إنساني، ولا يمكن تصور ثقافة دونه، ولا يعني استعمال اللغة قدرة الإنسان على الاستجابة إلى الرموز فحسب، بل يعني قدرته على ابتكارها أيضاً؛ فاللغة ليست قوالب جامدة، بل هي لينة طيعة الاستعمال.

كان الإنسان منذ التكوين أو اللحظة الأولى باحثاً عن كينونته ليجسّد مافي داخله من ألم أو هم، أو حزن أو فرح بالكلمات؛ فكانت اللغة أداة من أدواته طيعة المران، فقام الإنسان ببثها منطلقا من أنها الوسيلة الوحيدة لهذا التواصل الاجتماعي،ومع وجود الاختلافات المتنوعة في اللغة تقاربت مع اختلاف الأزمنة، وبقيت محافظة على ديمومتها.فما دور اللغة في المجتمع؟ وما أوجه التأثر والتأثير بين اللغة والمجتمع؟

المبحث الأول
اللغة ظاهرة اجتماعية

اللغة: هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، كما عرّفها ابن جني (ت392هـ)[1]، ومن ثم تختلف من جماعة إلى جماعة أو من أمة إلى أمة، ويقال: سمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم[2].

وهي انعكاس للحضارة، أو للشعب، فهي الذاكرة الجماعية يودع الشعب فيهاخبرته إلى الأجيال اللاحقة، فاللغة تعد إنتاجا فرديا واجتماعيا في آن معاً، وهي ظاهرة موضوعية وحقيقة ذاتية.

يعرِّف ابن خلدون اللغة بقوله: إنها ملكة في اللسان للعبارة عن المعاني وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[3].

ويعرفها سابير (Sapir) بأنها طريقة إنسانية متعلمة لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بوساطة نظام معين من الرموز اختاره أفراد مجتمع ما واتفقوا عليه[4].

فالمجتمع هو الذي يصنع اللغة ويجعلها متفاعلة، ويبين مدى فاعليتها، فلا تكون لغة دون مجتمع، ولا يكون مجتمع بلا لغة، إذن هما وجهان لعملة واحدة.

ولا تظهر اللغة دون وجود تفاعل ذهني واجتماعي؛ فاللغة تسهم في إعداد الشخصية وتشكيلها وتنمية قدراتها، وتهيئتها للاستجابة التكيفية في المواقف الاجتماعية[5].

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط4،(د.ت)، الناشر دار الشؤون الثقافية، بغداد، 33/1

[2] المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، (د.ط)1987، مكتبة لبنان، طبعة بلونين ميسرة، بيروت، مادة لغة

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، (د.ط)، 1978، دار الكتب العلمية، بيروت، ص65

[4] برهومة، عيسى، مقدمة في اللسانيات،ط1، 2005، (د.ن)، عمّان، ص20

[5] شتا، السيد علي، علم الاجتماع اللغوي، ط1، 1996، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ص59

وثمة اختلاف بين اللغة والكلام، وقد ميز بينهما(دي سوسير)؛ فرأى أن اللغة (Langue)؛ ظاهرة اجتماعية تشترك فيها جماعة بشرية معينة، وتنشأ من طبيعة الاجتماع ويشرف عليها العقل الجمعي لتلك الجماعة، في حين يعد الكلام (Parole) تطبيق الفرد للنظم اللغوية التي تواضع عليها مجتمعه في تفاهمه مع الآخرين[1].

ولن نخوض في نشأة اللغة فهو باب قد خاضه الجميع إن كانت وَقْفا أو وضْعا؛ لكن سواء قلنا إنها خلقت دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهبنا إلى أنها تكوَّنت تدريجيا، لا يمكن أن نشك في أنها وسيلة العقل للتعبير عن الأفكار والعواطف؛ فلغة الآباء والأجداد هي مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقليد والتاريخ والفلسفة والدين[2].

وتعد اللغة ضرورية للوجود الاجتماعي بأسره لأنها صورة السلوك الإنساني الشاملة، وهي الجزء الرئيس من التراث الثقافي للبشر، بالإضافة إلى أنها الرموز الثقافية القادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد لا من فرد إلى آخر بل من جيل إلى الجيل التالي أيضاً، فهي نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة والعواطف والأحاسيس[3]؛ واللغة قدرة ذهنية تتولّد أولا في ذهن الناطق بها، ثم تنمو بعد ذلك؛ أي أن منطقة الدماغ بما فيها من مراكز متعددة هي المحطة الأولى التي تنطلق منها ألفاظ اللغة وتركيباتها المتنوعة ثم ترسو على مرفأ آلة النطق أو اللسان الذي يشفرَّها من (الشفرة)[4] إلى أصوات معبرّة يسمعها ويفهمها (يفك شفرتها) من يخاطبهم من أبناء مجتمعه[5].

---

[1] شتا، السيد علي، علم الاجتماع اللغوي، ص46

[2] أنيس، إبراهيم، اللغة القومية والعالمية، (د،ط)، 1970، الناشر طبعة دار المعارف، مصر، ص104

[3] غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ، ط1، 1988، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص73-74

[4] رموز سرية يستعملها الناس للتفاهم فيما بينهم.

[5] عبد الكريم، خليل، العرب والمرأة حفرية في الإسطير المخيم، ط1، 1998، دار الانتشار العربي، بيروت، لندن، وسينا للنشر، القاهرة، ص64-65

فاللغة تعد مربطا أساسيا للحراك الاجتماعي؛ " لأنها نتيجة عمل عقلي، قامت به أجيال متوالية من الناس، واللغة من شأنها أن تسير في طريق الإصلاح المستمر، فهي حركة دائبة دائمة نحو غاية مثالية" [1].

لذا يؤكد الجاحظ(ت255ھ) أن وظيفة اللغة في المجتمع هي " ربط حبل الأسباب بين أفراده، بما يجعلها أداة للتعبير عن حقائق حاجاتهم، ليتم الاهتداء إلى مواضع سد الخلة، ورفع الشبهة، ومداواة الحيرة "[2]، ويلح الجاحظ على صيغة الارتباط بين الإنسان واللغة ارتباطا قارا؛ وهو ما يسمح باستنباط أن وجود الإنسان مرتهن بتولد الحاجات وأن تغطيتها متعذرة خارج حدود اللغة، كما يؤكد أن الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة أكيدة وراهنة ثابتة[3].

فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة الجزء بالكل، وعلاقة التلازم؛ فاللغة مقوِّم من مقومات المجتمع، ولا نتصور مجتمعاً إنسانياً بغير لغة يتواصل بها القوم. وليست اللغة أصواتًا تُلقى في فراغ، بل هي نظام يكتنف في داخله التواصل والتعبير عن الأفكار والعواطف.

وليس الفرد قادراً وحده أن يملك اللغة، بل هي مِلك الجماعة اللغوية، واللغة أيضاً نظام تعارفي بين أفراد هذه الجماعة اللغوية، وهي(اللغة) ناقل أمين للحَراك الاجتماعي العام.

1. اللغة نظام

تنبّه سوسير(Saussure) إلى أن " اللغة نظام له قواعده الخاصة، وهي نسق مستقل عن الأفراد الذينيتخذونه وسيلة للتواصل، مع أنّ هذا النسق أو النظام يمثل كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية يتوقف بعضها على بعض، وتحليل هذا الكيان يسمح لنا باكتشاف عناصر

---

[1]كامل، مراد، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، د،ط، 1963، الناشر معهد الدراسات العربية العالية، ص14

[2]الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255ھ)، الحيوان،(د.ط)، 1996، دار الجيل، بيروت، ج1، ص35

[3]المصدر نفسه، 35/1، بتصرف

تربطها علاقات التبادل أو التقابل، وقد حدد علم اللغة موضوع دراستها لذاتها ومن أجل ذاتها"[1]، وهدفت دراسة (سوسير) للغة إلى إبراز دور المتكلمين الذين يستخدمون اللغة، وقد أتت تفرقته بين مفهوم اللغة(La langue) والكلام(La parole) على هذا الأساس.

فاللغة نظام قائم بذاته، وبنيان خالص يضم تحولات داخلية تتصرف بشؤونه، ويتوزع مجاله الحيوي؛"فالجملة – وهي بهذا الخصوص- صورة مصغرة عن التنظيم الكبير تتألف من عناصر يؤثر كل منها في الآخر، وتتعاون تعاونا وثيقا، ضمن مجموعة عصبية ميكانيكية لتؤدي المعنى المقصود"[2].

فاللغة لدى (سوسير) نسق من العلامات والرموز الصوتية، أو هي بتعبير آخر مجموعة من الصور اللفظية التي تختزن في أذهان الأفراد كي يستخدموها في التفاهم والاتصال السماعي؛ بمعنى أنَّ المدلول يتمثل لدى السامع فور سماعه اللفظ أو ما أطلق عليه الدال[3].

" ونسق من العلامات والإشارات هدفها التواصل حين اتحاد الدال مع المدلول بنيويا أو تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذهني"[4]، وهو المفهوم نفسه الذي كان يرمي إليه تقريبا ابن جني في كتابه " الخصائص" عندما عرّف اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وكما أنَّه اهتّم بتحديد قيمة الكلمة أو العلامة اللغوية من خلال النظام اللغوي، وحلّل هذه العلامة إلى مكونين؛ مكون صوتي وهو الدال(Signifier)، ومكون ذهني هو المدلول (Signified)، كما ربط بين المدلول المجرد الذي يمثل الفكر، والدال المحسوس الذي يمثل

---

[1] سوسير: علم اللغة العام، ترجمة، يوئيل عزيز، ط2، 1988، الناشر بيت الموصل، ص20-23

[2] كنوان، حسين، تحليل النصوص المفهوم والضوابط، مجلة التسامح، عُمان، ع11، ص134، سنة ثالثة، 2005

[3] سوسير، علم اللغة العام، ص24

[4] المصدر نفسه، ص33.

الصوت ربطا محكما مما جعل الفصل بينهما أمرا صعبا، ويظهر ذلك في تمثيله للعلامة بقطعة الورق التي يمثل وجهها الفكر، ويمثل ظهرها الصوت ولا يمكن الفصل بينهما[1].

فإن ماهيّة هذه العلامات اللغوية أو الكلمات لانجدها في الصلة أو العلاقة بين الأسماء والمسميات، وإنما نجدها في علاقة العلامة أو الكلمة بوصفها صورة سمعية (Sound image) أي الأصوات ومفهومها في الذهن(concept) وانطباق المفهوم والصورة السمعية هو الذي يحدد لنا دلالة الكلمة أو العلامة اللغوية وإلا كانت سلسلة خاليةمن الأصوات وكما يقول أحد اللسانيين:"إنَّ الفعل اللغوي يعني إعطاء قيمة إشارية للعلامة، ويتمثل هذا الفعل اللغوي في الاتفاق الضمني بين المتكلمين باللغة على القيمة الدلالية للكلمات واتخاذها وسائل للتواصل أو التبادل فيما بينهم، ويشبه ذلك استبدال الإنسان الأوراق النقدية بمقايضة الأشياء بعضها ببعض"[2].

فكما أنها "تعد الأداة التي يتم بواسطتها للإنسان فهم العالم وتأويله وتفسيره برموزها، فإنَّ فهم اللغة ذاتها واكتشاف نظامها ورموزها، وعلاماتها، وهو مكمن الصعوبة في الحديث عن اللغة"[3].

وهذه اللغة هي رموز وعلامات تعبر عن رؤية الإنسان للعالم، فعلى عالم اللغة أن يتخذ من الرموز وسائل وعلامات للتعبير عن هذا النظام.

2. اللغة والتطور

---

[1] سوسير، علم اللغة العام، ص65

[2] فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، د،ط، 1954، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص40

[3] أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة آليات التأويل، ط4، 1996، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ص190

تتطور اللغة بتطور حركة المجتمع والثقافة فتصوغ مفاهيم جديدة، أو تطور دلالات ألفاظها للتعبير عن علاقات أكثر تطورا، وهي بطبيعتها ووظائفها ذات صبغة اجتماعية تعطيها من حيث هي وسيلة انتقالية صفة الموضوعية، وهي من ناحية أخرى موضع انتقاء ذاتي وموضوعي بالنسبة للأفراد والآخرين الذين يحيطون بالفرد ينتقل الإنسان من اللغة الذاتية إلى اللغة الانتقالية إلى اللغة الموضوعية[1].

وكما يرى هايمز(Hymes)إن "اللغة ليست حالة مماثلة في أي مكان في دورها التواصلي وقيمتها الاجتماعية، فليس هناك إنسان عادي أو مجموعة عادية محصور مخزونها اللغوي في نوع واحد من المعايير أو ثابت ثبوتا لا يتغير"[2]، ومكنون هذا القول بأن اللغة مرنة وقابلة للتطور والحراك مع اختلاف ناطقيها ومستخدميها، ومرنة بالتطور الثقافي الذي يحدث في المجتمع.

إن اللغة شكل من أشكال الثقافة في مجتمع ما, وهي الأداة التي يستعملها هذا المجتمع في العملية التواصلية بين أفراده, وبها تقوى العلاقة بين أعضاء هذا المجتمع, وتعتبر أهم عنصر تقوم عليه وحدة هذا المجتمع؛ إذ من خلالها يعبر الفرد عن انتمائه الثقافي والفكري بين أعضاء هذه الجماعة.

فهي نتاج ثقافي قائم على اصطلاح ضمني كما يقول ابن خلدون:"واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة إنما هو النقل عن العرب؛ إنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا نقول أنهم وضعوها لأنه متعذّر وبعيد ولم يعرف لأحد منهم"[3].

[1] بركة، بسام، اللغوي، الذاتي، الجسدي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع49-53، 1988، ص22

[2] ينظر، بشر، كمال : علم اللغة الاجتماعي مدخل، ط3، 1997، دار غريب، القاهرة، ص53

[3]ابن خلدون، المقدمة، ص156

فاللغة – كما قال ابن جني – أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم , وكما قال علماء الاجتماع: نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعامل ويتعاون بواسطتها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة.

فالسلوك اللغوي والاجتماعي في حالة حِراك واحتشاد دائمين، وهذا ما أيّده (ديتمار) (Dittmar) إذ يرى أن السلوك اللغوي والاجتماعي في حالةِ تفاعلٍ دائمٍ، وأنَّ حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة[1].

فهي إذن الأداة الفعَّالة التي تربط بين أفراد هذا المجتمع وتجعل منه وحدة متماسكة، فهي المعبرة عن أفكاره، وعن احتياجاته، وعن كل ما يهمه في هذه الحياة, بل هي الأداة المستعملة عن كل ما يريده "[2].

نتبين – مما تم عرضه – أن اللغة في تطور دائب، وإن كان هذا التطور غير ملحوظ للأفراد؛ لأنه من أبطأ المؤسسات التي تستجيب للتغير السريع، فهي نظام جمعي، والتطور الداخلي نتاج عوامل كثيرة، ويقتضي حِقباً ليست بالقصيرة، ولعل هذه السمة تضمن للغة التنظيم وتنفي عنها العشوائية، إضافة إلى أنها مُراكمة اجتماعية تصل القديم بالحديث، دون حدوث انقطاعات في هذه الوسيلة التواصلية، وليست اللغة– في الوقت نفسه– متحجرة لا تستجيب لهاتف التغيير والنماء، فسمة الحيوية للغة استجابتها للناموس الكوني في التطور والتغيير.

---

[1] برهومة، عيسى، اللغة والجنس، ص25

[2] هلال،عبد الغفار حامد،علم اللغة بين القديم والحديث، ط 3، 1989, مطبعة الجبلاوي ، ص 5 .

المبحث الثاني
اللغة والتواصل الاجتماعي

إن اللغة لا تتحقق بالفرد الواحد بل لا بد من مجموعة أفراد؛ فالفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته، وليس بمكنته تحقيق التواصل، ليتحقق الهدف من اللغة على أنها أداة تعبير وتوصيل وتأثير، وقد دأب الباحثون على دراستها ومدى تأثيرها في المجتمع والثقافة.

فالإنسان دائما يتطلع إلى إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، لأنه عاجز عن ذلك بمفرده، فما برح الإنسان يفكر في وسيلة ليحقق مبتغاه في تحقيق التواصل والتفاعل بينه وبين غيره، لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق هذا المبتغى فقال:" فإن السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أن الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في حياته، ولا بالغ حاجاته في تتمة بقاء مدته المعلومة وزمانه المقدّر المقسوم، احتاج إلى استدعاء حاجاته وضروراته في مادة بقائه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة[1] .

هذا يؤكد ما جاء به المحدثون من أمثال(مالينوفسكي)و(جون فيرث)، وغيرهم الكثير، فأصل اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان، وترتبط وظائف اللغة وما يطرأ عليها من تغيرات ارتباطا وثيقا بالبنى الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى بديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع[2].

---

[1] مسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق: أحمد أمين والسيد أحمد صقر،د،ط، 1951م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص6

[2] لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقدر، ط1، 1987، الناشر النادي الأدبي للثقافة، جدة، ص11

"فاللغة لا تنشأ إلا في مجتمع، ولا تستعمل إلا في مجتمع، والكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد"[1]، ومن هنا يمكن أن يعد"الكلام وظيفة إنسانية غير غريزية وغير موروثة"[2].

ووظيفة اللغة هي "الوظيفة الاجتماعية فالعبارات المختلفة المستعملة للتحيّة، وتلك المستعملة للتأدّب عند مخاطبة الآخرين لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدلّ على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كلٌّ من المتكلِّم والمخاطَب على السّواء كما تدلّ على العلاقة الاجتماعية بينهما"[3].

ولذا نجد اللغة نُسجت للتواصل الاجتماعي، فهي مدعاة للتواصل، لا يستطيع الفرد أن يتواصل مع الآخرين إلا من خلال اللغة وتنوعاتها، وصورها المختلفة، فهي مرتبطة بالفكر والمشاعر والأحاسيس، مرتبطة بالانتاج الذهني والفكري والاجتماعي، ومؤثرة على الجانب الديني أيضا.

وهي أداة نقل المعرفة ما دام أن حاجة الناس إلى بعضهم صفة لازمة في طبائعهم وخلقة قائمة في جواهرهم، وثابتة لا تزايلهم، ومحيطة بجماعتهم ومشتملة على أدناهم وأقصاهم.

فاللغة "تتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عمّا يعتمل في أقطار النفس من خَطَرات البال، لتشمل أيضا استجابة المتلقين للغة، والظروف الزمانية والمكانية للحدث الكلامي.

فهي تمنح شعورا بالانتماء إلى مجتمع المتحدِّثين بها، وتُعين الفرد على التوافق الاجتماعي، والتكيّف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية

---

[1] السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (د.ت،د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ص13.

[2] المصدر السابق، ص56

[3] خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية والمعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع9، سبتمبر1978، ص210

وتطويرها، وقد أطلق الانثروبولوجي (مالينوفسكي) على هذه الوظيفة التواصل الودي بين الناس(Phatic Communion)"[1].

فاللغة عبارة للتواصل بين المجتمعات،غير أن مفهوم التواصل غامض بسبب غناه المعجمي؛ لدخوله في علاقة ترادف واشتراك مع مجموعة من المصطلحات التي تشاركه في الدلالة من حيث الجذر، مثل التواصل، والإيصال، والاتصال، والوصل، والتواصل، والإبلاغ، والإخبار، والتخاطب، والتحاور[2].

---

[1]برهومة، عيسى، اللغة والجنس، ص19

[2]أوكان، عمر، اللغة والخطاب ، ط1، 2000، أفريقيا الشرق، المغرب: ص35

المبحث الثالث
اللغة والسِّياق الاجتماعي

نال السيّاق حظوة واسعة عند العلماء قديماً وحديثاً، فتناول علماؤنا القدامى السياق حين عرضوا للمقام، فقالوا لكل مقام مقال، وعرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلاملمقتضى الحال، وبسط علماء المعاني القول في موضوع السياق في حديثهم عن بلاغة المتكلم وشروط الخطيب، فنبهوا إلى أهمية أن يأتي الخطاب متسقاً مع السياق، فلا يجوز مخاطبة العامة بخطاب الخاصة، أو مخاطبة الخاصة بخطاب العامة، ثم حين فصلوا القول في نظرية المعنى ما غاب السياق عن أفهامهم، بل عرضوا له باستفاضة لأنه من الأسس الرئيسة التي يتحقق بها مراد القول.

وتناولت الاتجاهات اللغوية الحديثة- ولاسيما الاجتماعية منها- السياق في تنظيراتها، وعُدّت العناية بالسِّياق رد فعل على البنيوية؛ إذ يؤدي السِّياق دورا مهما في تحليل النص، ويساعد في تحديد قصد المُرسِل، وفي تحديد وظيفة الكلمة ومعناها التَّركيب النَّحوي، وفي المقام الذي قيلَت فيه.

على الرغم من ورود لفظ السِّياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ مختلفة سواء كان وروده عند اللغويين أو البلاغيين أو المفسرين أو الأصوليين إلا أنه يستعمل استعمالات سياقية مختلفة وقابلة لتعدد الفهم.

فلم يعتدّ به مصطلحا قائما في العلوم المشار إليها بدليل لم يوضع له تعريف معين، ولم يجرِ له في كتب الاصطلاح ذكرٌ"[1]، ويعد عند ابن فارس(ت395هـ) هو "القصد أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام"[2].

---

[1] الجرجاني، محمد بن علي، التعريفات، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص65-68

[2] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، (د.ط)، 1949، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 146/4-147، 117/3، والسين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقه، يسوقه، سَوقا، والسَّيِّقة: ما = استيق من الدواب، والبلاغيون يستخدمون مصطلحي الحل

وحديثا يستعمل السِّياق (Context) ليدلّ على:

1. السّياق اللغويLinguistic Context

2. السياق غير اللغوي The non –Linguistic Context

3. سياق التّلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقفContext of Situation[1].

ويقول أولمان إن كلمة (Context)، قد استعملت حديثا في معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة حسب، بل والقطعة كلها، والكتاب كله.

كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه– كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن2.

المفهوم اللغوي للسِّياق هو المفهوم الشائع في الدراسات اللسانية لا سيَّما علم الدّلالة، وقد " أكد فيرث(Firth. J) أهميته، وأسسَّ له نظرية كاملة؛ وهي نظرية السِّياق في المعنى التي تشير إلى أن معنى الكلمة لا ينكشف إلا من خلال وضعها في سياقٍ لغويّ ما"[3] .

ووفقاً لهذه النظرية يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الوحدات المجاورة للكلمة، ودور الكلمة في الجملة وأنَّ معنى الكلمة قد يختلف إذا استُعمِلَت في سياقٍ لغويٍّ آخر[1].

والمقام للدلالة على ما نسميه سياق الموقف أي على القرائن الخارجية المتعلقة بالمتكلم أو المخاطب، أو الحالة العامة للكلام، باعتبار المكانة الاجتماعية لطرفي التخاطب.

[1]الشهري، عبد الهادي، بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ص40، بالمر، أف. آر، علم الدلالة، ترجمة: عبد المجيد الماشطة،(د.ط)، 1985، الناشر الجامعة المستنصرية، مصر، ص69، 74

[2]أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، (د.ت)، 1962، دار الطباعة القومية، ، ص57

[3]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،ط4، 1993، عالم الكتب، القاهرة، ص68

ويعود مصطلح سّياق التّلفّظ؛ إلى مالينوفسكي(Malinowsky) وإليه يعود الفضل في ظهور فكرة السّياق، ويرى(مالينوفسكي)؛ أنّ اللغة عبارة عن تلبية حاجات الناس، "فاللغات الحيّة يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة مقطوعة من سياق حالتها، بل يجبُ أن يُنظر إليها كما يستعملُها الناس لصيد الحيوانات البرية وصيد الأسماك،... الخ"[2]، فملاءمة عبارة ما لا يعني أنها تلائم جميع السياقات، فمثلا عبارات التهنئة- مثلاً- لا تناسب عبارات التعزية والعكس صحيح، أما (فيرث) فيرى أنَّ"سياق التّلفّظ غير كافٍ في تفسير دلالات بعض الكلمات مما دفعه إلى وضع نظريّته"[3].

فالسِّياق يساعد على ظهور بعض العلاقات، والعبارة تحتاج إلى فاعلين متكلِّم ومخاطب، وما يؤديه كل واحد منهما من وظيفة في سياق التواصل، فلا يمكن أن يكون هذا الفاعل مشاركا واحدا متكلماً ومستعملاً في ذات الوقت[4].

ويعني سياق الموقف: "الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس" يرحمك الله" البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت "الله يرحمه" البدء بالاسم، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير"[5].

يعد (أولمان) "المنهج السِّياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي، فقد صرح بأن المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها (كما ترد في الحديث أو النص المكتوب) بمعنى أننا

---

[1]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،ط4، 1993، عالم الكتب، القاهرة، ص68-69

[2]بالمر، أف، آر، علم الدلالة، ص61

[3]نفسه: ص63

[4]دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، (د.ط)، 2000، الناشر أفريقيا الشرق، المغرب، ص260 (بتصرف)

[5]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص71

يجب أن ندرسها في واقع عملي (In operation)= أي في الكلام، ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام، ونسجله على أنه المعنى أو المعاني للكلمة"[1].

فالسياق هو البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله، أو هو ما يسبق أو يلحق ذلك العنصر، فهناك تطابق بين السياق والنص من حيث المفهوم.

ولا يمكننا فهم اللغة أودرسها وتحليلها أو تعليمها وتعلمها منعزلة عن سياقها الاجتماعي؛ فالمجتمع بكل ما فيه ومن فيه لا بد أن يؤثر في اللغة بكل مستوياتها أصواتا وصرفا ونحوا ودلالة وألفاظا[2].

ويرى(فندريس)"أن اللغة تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، وغدت من أقوى العُرى التي تربط الجماعات، ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الإنساني، ويرى علماء الاجتماع أن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة، تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف"[3].

ويزداد الاختلاف والتنوع في ظواهر اللغة بوجه خاص عندما يقع الاختلاط بين الناس من فئة لغوية واحدة وفئة لغوية أخرى، وهذا الاختلاط يكون إيجابيا فيزيد قوة اللغة، واستمراريتها، وقد يكون سلبيا في انصهار اللغة بلغة أخرى وفسادها.

إذن، فاللغة أهم ما يميز الإنسان وهي أخطر نشاط إنساني، بل لايكاد يتصور نشاط ما دون لغة، فهي لا توجد من أجل ذاتها، ولا من أجل الاتصال الفكري، لكنها نشاط اجتماعي يخدم ما يسميه (سابير) بالتشارك الاجتماعي(Communion)أو التواصل الاجتماعي وهي التي

---

[1] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص72

[2] بشر،كمال، علم اللغة الاجتماعي، ص66

[3] فندريس، اللغة، ص35، وينظرعبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، 1985، مكتبة الخانجي ص126-127

تفصح عن العلاقات الشخصية والقيم الثقافية والاجتماعية، بل هي الوسيلة للإفصاح عن هذه القيم[1].

وهنا يظهر مفهموم السِّياق الثقافي الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستعمل فيه الكلمة، فكلمة (Looking) تعد في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية بالنسبة لكلمة (Mirror)، وكذلك كلمة (Rich) بالنسبة لكلمة (Wealty)، وكلمة عقيلته تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلا[2].

كما "تعد اللغة أداة لتحقيق التوافق الاجتماعي مع الواقع, كذلك تساعد اللغة في حل المشكلات المتعلقة بالاتصال والتفكير"[3].

فالعربية في ذاتها لم تجمد وإنما جمدها أهلوها بعزلها عن التعامل الحي، وحرمانها من التوظيف العام في مجالات العلم والثقافة، "إنَّ اللغة – أية لغة– ترتبط أشد ارتباطٍ وأوثقه بالمجتمع الذي تعيش فيه، تنمو بنموه، وتجمده بجمود معارفه وثقافته وفكره وتغدو هيكلا لا حياة فيه بفقدان طاقة الإبداع والابتكار في هذا المجتمع"[4].

كما أنَّ لمراعاة المقام الاجتماعي أثرا كبيرا فهو يُكسب المتحدِّث القدرة على التأثير، ويوفّر له شرطاً مهما من شروط الخطاب، فقديما قالت العرب: لكلِّ مقام مقال، وفي هذا إدراك لأهمية السِّياق، ومراعاة المقامات وفقا للعوامل المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتّكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلِّم أو السامع، وينبغي أن يُراعي في السِّياق عنصر

---

[1] الراجحي، عبده، اللغة وعلوم المجتمع، ط2، 2004، دار النهضة العربية، بيروت ، ص10

[2] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص71

[3] عفيفي، السيد عبد الفتاح، علم الاجتماع اللغوي ،1995, دار الفكر العربي، القاهرة (بتصرف)

[4] بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي، ص248

الموضوع، فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظف مصطلحات علميّة في سياق شخصي أو حماسي[1].

من هنا يستدرك اللغويون الاجتماعيون على علم اللغة الاهتمام بالسياق – ثم يتطلعون من وراء ذلك – إلى منهج في درس اللغة يستشرفها من خلال بعد أوسع، ويحاول أن يتبيَّن كيف تتفاعل اللغة مع محيطها، ويتمثل هذا البعد الأوسع– عندهم– في النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة، وأبرزها التشكيل الاجتماعي، فإن المتغيِّرات الاجتماعية، كطبقة المتكلِّم ومركزه، وطبيعة الموقف الذي يتكلَّم فيه أرسمي هو أم غير ذلك... تؤثر في استعمالنا للغة تأثيرا بالغا[2].

ولقد أدرك (مالينوفسكي) منذ وقت طويل أهمية هذه الحقيقة وكان ذلك عندما أكد أن المعضلة الحقيقية التي تواجه اللغويين تتمثل في تركيزهم الزائد على الكلمات كما عد اللغويون البنائيون أن مثل هذه الدراسة ليست شيئا ضروريا حسب، ولكنها مسألة حيوية، والسؤال الذي يطرحه مالينوفسكي هو: إذا كانت الوظيفة الرئيسة للكلام هي توجيه العمل الجماعي وإرشاده أو النشاط الإنساني، فكيف إذن نفصل ذلك عن سياقات مختلف المواقف وما تعكسه من مغزى ودلالات؟[3].

وقد قال (مالينوفسكي)"بأنَّ اللغة نشاط اجتماعي، ومن ثم لا يكون للكلمة أي معنى إذا عزلت عن السِّياق أو عن هذا النشاط الذي ألقيت فيه، فهي مرتبطة بالموقف الذي قيلت فيه، فهناك من نظر إلى اللغة على أنها تقتصر على توصيل الفكر أو التعبير عنهحسب، وهي لا غنى عنها لخلق الروابط والعلاقات وهي الروابط التي يستحيل بدونها قيام أو إنجاز العمل

---

[1]برهومة، عيسى، اللغة والجنس، ص26

[2]الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط1، 1980، المؤسسة العربية للنشر، عمّان، ص95

[3] أبو زيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع، ط1، 2007، دار الغريب للنشر، ص142-143

الاجتماعي الموحد"[1]، فاللغة تكون غايتها التآلف والتعاطف، فهناك كلمات وعبارات كالحديث العابر بين الناس، ك(صباح الخير) و(كيف الأحوال)، فهي كما يقول (مالينوفسكي) تقع ضمن الواجب الاجتماعي، وهناك لغة التأدب الاجتماعي.

اللغة نتاج اجتماعي؛ لأنها ترتبط وظيفيا بالأنشطة الفعلية للإنسان التي لا يمكن أن تتعين إلا باعتبارها تواصلا سواء مع الذات أو مع الآخرين، وليس هذا التعيين اختياريا حينما يمتلئ بعناصر اللغة؛ لأن اللغة حينما تشير لتحقيق التواصل ترتبط فوريا بصورة العالم الذي لا يملك تعديلها إلا على مستوى الدوال[2].

فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، وفي الوقت نفسه تعكس الفروقات الاجتماعية، والتنوعات اللغوية، وهذه التنوعات مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية، وكما أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة الناس الذين يستعملونها، وينتجونها، فالتنوع اللغوي مرتبط بالعامل الاجتماعي ارتباطا وثيقا، واللغة بتعاملها المتعمَّد والمقصود مع الأشياء لا تُفَسَّر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أن النوع الإنساني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون[3].

ويمكن أن نجمل القول إنَّ وظيفة اللغة هي وظيفة اجتماعية، للتواصل بين البشر، وهي أهم ميزة إنسانية، من خلالها وعبرها يتم التعارف والتعاون بين الناس والتفاهم على أمور الحياة لذا أخذت أصداءً كبيرة من حيث الدراسات والأبحاث، وانصب اهتمام الإنسان عليها بطرق مختلفة.

---

[1] أبو زيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع، ص144

[2] ناصر، عمارة، اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط1، 2007، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، ص63

[3] بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي، ص31

ويرى(إدوارد سابير)"أنَّ اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية "[1].

أما (تشومسكي) فيعد اللغة مجموعة محدودة وغير محدودة من الجمل كل جملة محدودة من حيث الطول وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر، وهذا التعريف حطم الأركان الأساسية عند معظم اللغويين من حيث إن اللغة نظام مصمم للاتصال، وبهذا يفصل بين اللغة ووظيفتها ويركز على الخصائص البنيوية البحتة للغة، وعلى فكرة سوسير وهي نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من جماعته، وأنَّ هذه الخصائص يمكن أن تبحث بطريقة واضحة وضوح الرياضيات؛ لأنه كان يركز على فطرية اللغة"[2].

لذا أكد (سابير) الصفة الاجتماعية للغة دون أن يهوّن من أهمية العامل الفردي، فعنده اللغة هي في الأرجح أعظم ، فضلا عن أن وجود لغة مشتركة هو رمز قوي للتضامن الاجتماعي بين من يستخدمون اللغة، ولا تقتصر الدلالة النفسية لهذه الحقيقة على ربط لغات خاصة بقوميات أو بهيئات سياسية أو بجماعات محلية أصغر، بل تتعدى ذلك[3] .

وتحقق اللغة وظائف عديدة في حياتنا اليومية وهي انعكاس لواقعنا ونقل معطياته، ويفصّل (هارمان) الوظائف المتنوعة للغة، "بأنها بالإضافة إلى إنشاء شبكة للمعرفة حول العالم فإن اللغة تخدم أيضا التعبير عن المشاعر والاتجاهات والقيم، ولقول الأكاذيب وللمراوغات، للشتم والاهانة، للمديح والتوبيخ، اللغة هي وسيلة لعمل أشياء للناس وتسبب ردود فعل إيجابية وسلبية، تمكّن اللغة الشخص بأن يجرّب كل معاني الحياة، وأن يعيشها من خلال تجارب

---

[1]ينظر أبوزيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع، ص83

[2]ينظر برهومه، عيسى، مقدمة في اللسانيات، ص19-20

[3] كامل،مراد، دلالة الألفاظ، ص12

الآخرين، إنَّ اللغة وسيلة لنوايا الإنسان ويمكن أن تكون نوايا مستعمليها إيجابية ينتج عنها انسجام في التفاعل أو سلبية ينتج عنها إنشاء التحيز والآراء الثقافية المسبقة "[1].

فهي تقوم على الوعظ وإبراز العبر والحكم، وبالتالي ينتح من خلال هذه اللغة حصيلة ثقافية تقي الإنسان من الوقوع أحيانا في الأخطاء، وأحيانا تساندهم في صعود القمم، فهي ذات صلة عضوية وحيوية بالتفكير خاصة وبالثقافة إجمالا، فإن هذا التداخل بين الثقافات يزيد الإنسان معرفة ويكسبه تجاربا عديدة.

كما يرى (رومان جاكبسون)"بأنَّ للغة وظائف أخرى غير تلك الوظائف التي تطرق إليها بعض علماء اللغة الآخرين، وإنَّ وظائف اللغة تتوزّعُ بين الوظائف الداخلية لِلُّغة نفسها من جهة، وبين المتكلّم والمُخاطَب وأجزاء الرّسالة اللّغوية من جهة أخرى، وهو بذلك يضيف إلى العلاقة بين المرسل والمستقبل التي أتى عليها غيره، وظائف اجتماعية جديدة بالإضافة إلى الوظائف الجمالية التي تشع بها اللغة عند الاستخدام المبدع لمفرداتها[2].

وأكد(فتجنشتين)" أنَّ اللغة قد أصبحت وسيلة للتفاهم مع الآخرين بل هي أهم وسائل الاتصال الإنساني وأبعدها تأثيرا ليس من حيث المعنى الظاهري الذي قد يمكن التعبير عنه بأنه دون لغة ما كان بمقدورنا أن يتصل بعضنا ببعض، وأن يتم التبادل فيما بيننا كمرسل ومستقبل، فاللغة تؤثر وتتأثر"[3].

---

[1] مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير: محمد امارة، ، ط1، 2002، دار مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإستراتيجية، ص16.

[2] وقد حدد جاكبسون في نموذجه المشار إليه الوظائف اللغوية على الشكل التالي: الوظيفة التعبيرية، الوظيفة المرجعيّة، الوظيفة التأثيريّة أو الإقناعيّة، الوظيفة اللغوية، والوظيفة الشّعريّة.

[3] أبو زيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع: ص80

إذن، اللغة ظاهرة اجتماعية،وهي تخضع لما يخضع له المجتمع من عوامل التطور والتغير، وهو ما قرره علماء اللغة منذ زمن، وهذا التطور والتغير يصيب اللغة على جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية غير أنه على المستوى الدلالي[1].

فالإنسان مدني بطبعه، وهذه المدنية أضفت عليه صفة الاجتماعية، والتواصلية، وكانت اللغة هي بذرة الأساس الاجتماعي كما يؤكد (يسبرسن) و(جاردنر)، فالدور الحيوي للغة يكمن في الوظيفة الاجتماعية لها، وتعد مأثرة من مآثر الأمم، إن لم يكن من أهمها؛ لأنها كتابهم الذي يسجل تاريخهم وأحوالهم؛ فالعرب قديما جعلوها ديوانا لهم يمجدون فيها ويذمون.

تشكل اللغة في نهاية المطاف صورة المجتمع عن نفسه، وتعكسُ أولوياته وكيفيات تعبيره عن ذاته وطرائق فهمه لعلاقته بأفراده وبالآخرين من حوله وعلى نطاق عالمي، بيدَ أنَّ اللغة لا يتصلُ معناها الشمولي بالمجتمع وبصورته عن نفسه فحسب، بل بالتطور الثقافي الاجتماعي ووعي هذا المجتمع بذاته ومهماته وأولوياته وتَوْقِهِ إلى الاتصال بالحضارات الإنسانية الأخرى والتفاعل معها دون التخلي عن الخصوصيات الثقافية لأبنائه.

---

[1] خليل، حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ط2، 1992، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية: ص113

المبحث الرابع
سمات اللغة

تعكس اللغة خبرة الشعوب عبر تاريخها ويمكن أن تسمح لنا بأن نقوم بأنواع من التمييز المهم في طريق تعبيرها عن كل الأذواق والآراء، فالأذواق وطرق كل فرد في إدراك الأنغام والألوان لا يمكن لأحد أن يناقشها، على أنه مما لاشك فيه أنه إذا اتصل الأمر بأذواق رخيصة جدا؛ فإنَّ الشخص قد يبحث عن طريقة يدافع بها عنها لأنه سيفترض أن ما يتبدى من خلالها إنما يحمل في طياته موضوعية القيم الجمالية، ولكن هذا لايكون عندئذ مسألة ذوق[1].

ولأن الإنسان مدني بطبعه- كما قال ابن خلدون- فيسعى إلى الانتماء إلى الجماعة لأنه كائن اجتماعي، وهو يتلمس إلى الانتماء وحاجته التقدير الاجتماعي والاحترام والمكانة الاجتماعية فينشأ نتيجة تفاعل الفرد مع الأفراد الآخرين وبرغبته في التفاعل والتعاون مع غيره من الأفراد ومن العوامل التي تؤثر في درجة استجابة الفرد للمجتمع درجة نضجه العقلي والجسمي والانفعالي، وبهذه القوة يستطيع التأثير والتعديل من سلوك الآخرين[2].

فاللغة تمتلك القدرة على إعادة ابتكار العالم بتنسيقه وفق المقولات اللسانية، وهي تمنح النشاط الحواري القدرة على التفاعل، إذ يفعل الناطق النفسي الاجتماعي أو ينفعل حتى عندما لا يُقحم الآخر بسؤال أو طلب فالخطاب يقيم الحجة أو يدحض أو يسعى إلى الإقناع[3].

لذا يسعى الفرد إلى الانتماء إلى الجماعة لأنه كائن اجتماعي، وهو يتلمس إلى الانتماء وحاجته التقدير الاجتماعي والاحترام والمكانة الاجتماعية فينشأ نتيجة تفاعل الفرد مع الأفراد الآخرين وبرغبته في التفاعل والتعاون مع غيره من الأفراد ومن العوامل التي تؤثر في درجة

---

[1] محمد،كامل وعويضة، محمد، دراسة علمية بين علم النفس والعلوم الأخرى، ، ط1، 1996، دار الكتب العلمية: ص131

[2] رضوان، شفيق، علم النفس الاجتماعي ، ط1، 1996، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت : ص96

[3] حجاج، كلود، إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ترجمة: رضوان ظاظا، ط1، 2003، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص344

استجابة الفرد للمجتمع درجة نضجه العقلي والجسمي والانفعالي، وبهذه القوة يستطيع التأثير والتعديل من سلوك الآخرين[1].

إن لغة الخُطب ولغة الصحف والإذاعة والتلفاز التي تمتلئ بها حياتنا ليلاً ونهاراً، تنطوي على معلومات بعضها مهم وآخر غير مهم، وتهدف اللغة أيضاً إلى التأثير والإقناع، فمعظم ما يقال وما يكتب في وسائل الإعلام تلك يقصد إلى التأثير في البشر وإقناعهم إما بشراء بضاعة أو بالإيمان بمبدأ أو بتغير سلوكهم بطريقة ما...، ففي تلك اللغة إذا كثير من التوجيه والإقناع أي كثير من محاولة التأثير في البشر، لا مجرد نقل المعلومات إليهم[2].

فاللغة هنا تدل على مدى حاجتنا إليها مهمًا أكانت مهمة المعلومات أو غير مهمة، وكأن المهم من اللغة هو تبادل الكلام بغض النظر عن طريقة الحجاج أو الإقناع، فاللغة عنصر مهم لتمييز شرعية من أخرى، كما أن الانتقال من مظهرِ اللغة خاص بشريحة معينة إلى مظهر آخر يمكن أن يحدث تدريجيا مع تطور الفرد، ويمكن أن يحصل تشبها بشريحة أو طبقة اجتماعية[3].

ومن سمات اللغة- كما بيّن (فندريس)- "أنَّ الكلمة لا قيمة لها إلا من خلال السِّياق، فيقول:" الذي يعين قيمة الكلمة في الحالات إنما هو السياق، إذ إنَّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل متجها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسِّياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسِّياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضارية"[4].

---

[1] رضوان، شفيق، علم النفس الاجتماعي، ص96

[2] خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص174-175

[3] نفسه : ص188

[4] فندريس، اللغة، ص231

وحينما تنقل اللغة أفكار الإنسان وعلومه إما مباشرة أو عبر الزمن تحمل إلينا كمّا هائلا من المعطيات يومها، وذلك عندما تنصت إلى الآخرين مباشرة أو عن طريق وسائل الإعلام ووسائل الاتصالات المختلفة، وفي الوقت نفسه تنقل اللغة إلينا النتاج الفكري ممن سبقونا عبر آلاف السنين[1].

فاللغة هي المعبر الذي يوصلنا إلى ما نريد بكل يسر وسهولة، والكلمة هي من تجعل الحياة مليئة بالسلم، وهي من تجعلها ملتهبة بالكراهية والعداء، اللغة هي لُحمة الحياة وسُداها.

عرضت – فيما سبق– بعض سمات اللغة؛ فهي علامات يرتبط الدال بالمدلول، والعلامة ليست مجردة من المعنى، بل هي لفظ يقصد منه حين التلفظ به، وليس بالإمكان الفصل بين الدال والمدلول، فهما كوجهي عملة.

وتتضافر العلامة المعجمية مع العلامة القواعدية، فكلمة(خاشع) تتكون من علامتين هما: 1– (خ ش ع) و2– صيغة الفاعل، فالأولى علامة معجمية؛ لأنها تدل على معنى معجمي هو الخضوع والإذعان، والعلامة الثانية توصف بأنها علامة قواعدية، ويمكن الميز بين العلامتين أن العلامة القواعدية يمكن حصرها بالاستقراء، فهي محصورة العدد، ويمكن أن تتناوب في الوظائف الصرفية، وتقبل المورفيمات نحو: أداة التعريف، ومميز التأنيث، أما العلامة المعجمية فهي غير محدودة، فهي تتشابك مع علامات جديدة من داخل اللغة، إضافة إلى أشياء خارج اللغة.

ومن سمات اللغة أنها نظام متراصف يضم أصواتاً، وهي عناصر مادية، ولها خصائص فيزيائية، تتضام هذه العناصر وفق نظام اللغة لتكوين كلمات وجمل وفقاً للأغراض التخاطبية، ومن سماتها أيضاً أن اللغة قابلة للتفكيك والتجزؤ، فكما أن اللغة نظام يأتلف من عناصر، فيمكن تجزيء هذا الكل إلى عناصره الأولية، وثمة نوعان من التجزئة؛ تجزئة مزدوجة إذ بإمكان

[1] الغامدي، منصور محمد، صوتيات العربية، ط1، 2000، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ص6

المتكلمين أن يحللوا العلامات إلى أجزائها ويعيدوا تركيبها من جديد لتدل على معانٍ مختلفة، فيمكن أن نجزّئ كلمة(شهد) ونركبها في (دهش) وهكذا دواليك،س ويمكن أن نجزِّئ العناصر إلى مورفيماتها الأصول مثل (المدرسات) الـ+ مدرس+ ات.

ومن سمات اللغة "الإنتاجية" التي أشار إليها(تشومسكي) حين اعترض على السلوكيين في تفسيرهم الاكتساب اللغوي عند الطفل، فاعترض(تشومسكي) على أن يكتسب الطفل اللغة بالتقليد- بما يشبه الحيوان- فالإنسان يملك الكفاية التي تمكنه من إنتاج جمل لانهائية من خلال امتلاكه هذه الكفاية.

وترتبط الإنتاجية بسمة أخرى هي " الإبداعية" التي نبه إليها (ديكارت) وسار على نهجه (تشومسكي)، فالطفل ليس آلة مجردة تردد ما تستمع إليه، بل إنه قادر على إبداع جمل لم يسمعها من قبل، وهذا يؤكد أن اللغة خصيصة إنسانية، وهي منحة الخالق لعباده.

ولعل في استعراضنا سمات اللغة نؤكد أن اللغة لا تُنقل بالوراثة، ولا ترتبط بعرق معين بل تنقل ثقافياً من جيل إلى جيل، فالطفل العربي الذي يترعرع في بلد أجنبي سيكتسب- بالضرورة- لغة ذلك البلد الذي نشأ فيه، بصرف النظر عن عرقه وأصوله التي ينتمي إليها.

الفصل الثاني

التطور الدّلالي

- الدلالة اللغوية وعلم الدلالة
- تعدد المعنى
- تغيّر المعنى
- أسباب التغير الدلالي
- أشكال التغير الدلالي

تمهيد

اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بكل ما يعترى الإنسان من أحوال عامة، يشترك فيها جميع أفراد الأمة المعنية في فترات حياتها،فتتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل عامة كثيرة، ويعد التغير في المعنى جانبا من جوانب التطور اللغوي، وهناك أسباب كثيرة لتغير المعنى منها ما هو معروف مألوف لنا من قبل، وهو الحاجة إلى كلمة جديدة أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود، ومنها ما هو مرتبط بحاجات علمية أو عملية، فهناك نظريات متعددة توضح أسباب تغير المعنى، منها ما يراه اللغوي الفرنسي(انطوان مييه) من أن هناك ثلاث مجموعات رئيسة من الأسباب التي تكمن خلفها تغيرات المعنى في العادة، وهي أسباب لغوية وتاريخية واجتماعية[1].

وتبدأ طريق الدلالة بالكلمات، فالكلمات هي المواد الأولية التي تتشكل حسب أنظمة مختلفة لتقدم مفهوما محددا، والشرط في الكلمات أن تتشكل وأن تنظم؛ لأنها بدون ذلك تبقى موادَّ أولية لا قيمة لها بذاتها، فالمعنى إذن يظل خاطرا في النفس أو مكنونا فيالضمير حتى يصوغه المتكلم في كلمات يختارها وجمل وعبارات ينظمها أو يؤلف بينها ليحاول نقل فكرته من صدره إلى عقول الآخرين، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه المعنى الأصلي للكلمة والمعنى السياقي لها[2].

وكما يقول "(سبيريار) إنَّ المعنى الجديد كي يظفر بالدخول إلى نظام اللغة، لا بد له أن يتغلب على المقاومة الشديدة التي قد تبديها ملايين المتكلمين، وهذا بالطبع يحتاج إلى بذل قدر كبير من الطاقة، وهذه الطاقة تستمد من القوى الانفعالية أو العاطفية التي ترتبط بالكلمات، ويمكن التمثيل على هذه النظريةبتلك الاستعارات التي تملأ التقريرات الخاصة، عن مختلف

---

[1] أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ص155

[2] أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي، بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، ط1، 1985، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ص69

أساليب الغارات والمعارك الجوية، مع مايجري فيها من حركات الطائرات ومراوغتها وغطسها وانقضاضها"[1].

وهذه النظرية متأثرة بفكرة التحليل النفسي، ولكنها اتهمت بضيق الأفق؛ لأنها تميل إلى تبسيط الأمور تبسيطا مبالغا فيه، وإلى إرجاع الحقائق المعقدة المتشابكة إلى عامل واحد مقبول في ظاهره، ولكن قيمتها تظل في أنها أوجبت عدم النظر في الكلمات منعزلة أو منفردة، بل يجب الاهتمام بكل القطاع اللفظي الذي تنتمي إليه الكلمات إذا كان لنا أن نفهم تاريخ مفرداته فهما صحيحا[2].

"فدلالة النص ترتبط بالمعنى اللفظي الذي قصد إليه المؤلف، وإن كانت القصدية عند (هيرش) مهمة لفهم الدلالة، ولكن بتقدير القارئ لعلاقة النص برؤيته للعالم وبفرضياته النظرية واهتماماته الفردية وتجربته الذاتية، وعلى هذا الأساس فإن فهم المعنى اللفظي للنص يرتبط عند القارئ بدرجة واضحة من اليقين، ويجب ألا ننسى أننا نتحدث عن سياق من العلامات اللغوية يحكم العلاقات بين دوالها ومدلولاتها قانون التوحد وليس المراوغة، أما فهم الدلالة وهو مرحلة النقد والتفسير، فيرتبط بشرعية التفسير التي تقوم على إثبات أن بناء القارئ للمعنى هو أكثر التفسيرات احتمالا في ضوء كل ما يستطيع ذلك القارئ اكتشافه"[3]، ومن هنا كان لابد للقارئ أن يملك شفرة النص أو الدلالة ليعرف المدلول.

فكانت دراسة التطور الدَّلالي مهمة للغة في بنائها وكينونتها، سنتعرف إلى التطور الدلالي بدءًا بمفهوم علم الدلالة، وتعدد المعنى من ترادف واشتراك لفظي، ومن توسع وضيق للدلالة أو المعنى، ومن رقي وانحطاط للدلالة، سيكون هذا الفصل باحثا عن كيف يمكن للغة أن

---

[1] أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ص161-162

[2] المصدر السابق، ص163

[3] حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، ع298، 2003، عالم المعرفة، الكويت: ص119

تتطور وأن تنحدر وأن تتغير الكلمة باستخدام معنى إلى معنى آخر، وكأن الدلالة هنا تنحرف عما جاءت إليه أو عمّا كانت عليه.

فاللغة تتطور وتنحدر وتموت كما نعرف، من خلال المتكلم واستخداماته، ومع تطور الحضارات واتساعها وتفاعلها وانسجامها وتناغمها معا، كما يقول إدوارد سعيد:" فإن جميع الثقافات متداخلة في بعضها البعض، لا ثقافة فريدة ونقية، الكل هجين متغاير الخواص، متباين على نحو استثنائي، ولا يمثل بنية متجانسة أحادية تكوين"[1].

كذلك اللغة تتفاعل مع انفتاح الثقافات والمجتمعات ويكون التواصل سببا لانحدار الكلمات أو رقيها، والعكس صحيح أيضا.

واللغة عمل وفكر في وقت واحد، إنها عمل وسلوك لأننا بواسطتها نسعى للتأثير في غيرنا إذ ندفعه بهذا الاتجاه أو ذاك، فلا يوجد كلام لمجرد الكلام، أو كتابة لمجرد الكتابة، فهذا فعل وظيفي له غاية، واللغة أيضا فكر وبنية؛ ذلك أن أي لغة تحمل في فهمها مسبقا رؤية للعالم يتبناها بالضرورة أولئك الذين يتكلمونها.

---

[1] ايجلتون، تيري، فكرة الثقافة، مرجع سابق، ص9

المبحث الأول

الدلالة اللغوية وعلم الدلالة

عرّف الجرجاني الدلالة بقوله هي: كون الشيء بحالة يلزم به العلم شيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص[1].

ومن هنا نشأت العلاقة بين الدال والمدلول (الرمز ومعناه)، وتكوّنت من عدد من العلائق، وهي:

1. **العلاقة الطبيعية:** يدلّ كل رمز على دلالة طبيعية، فما أن تسمع الجَرْس الصوتي للفظ يحصل معناه في ذهنك بطريقة طبيعية، دون دخل للمنطق أو العرف فيها، ويطلق علماء اللغة المحدثون، على هذه الظاهرة (ظاهرة الاستدعاء الصوتي) مصطلح (Anomatopeia)، وهذا المصطلح يعني تسمية الشيء أو الفعل بحاكاة صوته[2].
2. **العلاقة المنطقية:** وهي دلالة عقلية، فمثلا دلالة الدخان على النار، ووجود النباتات يدل على وجود الماء، فنحن هنا نستنتج شيئا لدلالة معينة.
3. **العلاقة العرفية:** بمعنى أن تكون العلاقة بين الرمز ومدلوله، قائمة على تعارف أفراد المجتمع ووضعهم للمعاني بإزاء الألفاظ، وربطهم بين الرمز والمدلول.

في حين أن العرف يختلف من مجتمع لآخر، بالتالي تختلف الرموز الدالة على الشيء الواحد من مجتمع إلى آخر باختلاف المجتمعات، فرجل في العربية و(Man) في الإنكليزية، فالعلاقة بين الاسم والمسمى علاقة غير طبيعية ولا منطقية[3]، فلا علاقة طبيعية بين الاسم والمسمى، بل هي علاقة اعتباطية.

---

[1] الجرجاني:التعريفات، ص215

[2] الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، (د.ط) 1982، مكتبة لبنان، بيروت، ص193

[3] حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، (د.ط) 1980، الناشر دار الثقافة، الدار البيضاء، ص110

علـم الدلالة Semantics

علم الدلالة أحد فروع علم اللغة linguistique وأحدثها ظهورا، ينهض على دراسة المدلولsignification أو دراسة دلالة الوحدات المعجمية unites lexicales؛ ولذا عرف بأنه علم دراسة المعنى، كما عرف أيضا بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، ومن ثم فهو أحد فروع علم الرموز semiologie، وهذا التعريف يستلزم أن يكون موضوع علم الدلالة كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، سواء أكانت العلامة لغوية أو غير لغوية، ولا يمكن فصله عن بقية علوم اللغة، فكل منها يستعين بالآخر وهو يسمى في العربية بـ(علم الدلالة) أو (علم المعنى) أو (علم السيمانتيك) أخذا من الكلمة الإنجليزية semantic أو الفرنسية semantique، وأول من استخدم المصطلح هو (ميشيل برييل) في أول دراسة علمية لدراسة المعنى في كتابه Essai de Semantique 1897.[1]

ولا يقتصر اهتمام الدرس الدلالي الحديث على دراسة المفردات وتحليل المعنى المعجمي (Lexical Meanings) الذي يدرس معاني الكلمات المفردة، بل يهتم بالمعنى التركيبي (Syntactic Meaning) الذي يدرس معاني التركيب، وهو اتجاه بدأه (كيتس) و(فودر) تلميذا تشومسكي في أوائل الستينيات لدراسة المعنى من خلال التراكيب، وقد شارك قبل ذلك في هذا الاتجاه المدرسة الإنجليزية التي اعتمدت على المنهج السياقي (Contextual Approch)، لدراسة معاني الكلمات[2].

---

[1] لمزيد من التفاصيل حول المفهوم انظر السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، 285، 317، وعمر ، أحمد مختار، علم الدلالة، ص11-13

[2] حسام الدين، كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية،ط1، 1985، مكتبة الانجلو المصرية،، القاهرة، ص16

ارتبط علم الدلالة بالسِّياقواقترن اسم هذه النظرية باللغوي الإنكليزي(فيرث)، ومعنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، وصرّح بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الكلمة في سياقات مختلفة، وقد اعتمد (فيرث) على عمل علماء الأنثروبولوجيا و(مالينوفسكي)خاصة الذي طور نظريته لسياق الحال التي وفقا لها ترجع معاني المنطوقات وكلماتها وعباراتها المكونة لها إلى وظائفها المختلفة في سياقات الحال الخاصة التي تستعمل فيها، وهذه المقاربة سحبها (فيرث) على اللغة بمعالجته للوصف اللغوي كله باعتباره تحديدا للمعنى، وبذلك مدّ فيرث تطبيق معادلة "المعنى هو الوظيفة في السِّياق"[1].

ويتكون سياق الحال عند فيرث من مجموع العناصر المكونة للحدث، وتشمل التكوين الثقافي للمشاركين في الحدث والظروف الاجتماعية المحيطة به والأثر الذي يتركه في المشاركين[2]، وهذا يعني أنَّ"سياق الحال عند أصحاب هذه النظرية يشمل: السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف والسِّياق الثقافي"[3].

يرى(فيرث) في نظريته الدلالية أنَّ"المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي تدريجيا على مستويات اللغة كافة: الاجتماعية والصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، كما أنه يرى بأن لمعرفة المعنى يمكن أن نتقبل الحدث اللغوي بشكل كامل، وبعد ذلك نختبره على مستويات مختلفة بالترتيب التنازلي مبتدئين بالسياق الاجتماعي، ونتقدم خلال النحو والمفردات إلى الأصوات ووظائفها"[4].

---

[1] ر.هـ. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة:أحمد عوض، ع227، نوفمبر 1997، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ص342

[2] انظر: حسام الدين، كريم زكي ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، (د.ط) 2000، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 75 ، وياقوت، محمود سليمان، فقه اللغة وعلم اللغة نصوص ودراسات، 1995، طبعة دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص235 وجبل، عبدالكريم حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، 1997، طبعة دار المعرفة الجامعية،ص22

[3] انظرعمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص68، 72

[4] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص25

ينظر(فيرث) إلى سياق الحال على أنه مستوى لغوي آخر إن لم يكن أهم مستوى فيها، والعناصر الأساسية لسياق الحال هي:

أ. المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين:

1. الحدث الكلامي الصادر عنهم (كلام المشاركين)

2. الحدث غير الكلامي عند المشاركين.

ب. الأشياء الوثيقة الصلة بالموقف.

ج. أثر الحدث الكلامي.

وينتهي(فيرث) إلى أن سياق الحال هو العنصر الأساسي لعلم الدلالة.[1]، وقد عرَّف العرب ذلك قديما حين أعلنوا مقولتهم " لكل مقام مقال"، وقد سماه السكاكي بمقتضى الحال في كتابه مفتاح العلوم[2].

إنَّ الهدف الذي ينشده علم الدلالة هو الوقوف على القوانين التي تنتظم تغيّر المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللغة، وذلك بالاطلاع على النصوص اللغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة، وفي هذا سعي حثيث إلى التنويع في التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة، وهذا التنويع هو الذي يطور اللغة ويحفظ أصولها، ولا يكون حاجزا أمام تطورها وتجددها، ويمكن في خضم البحث عن هذه النواميس خلق نواميس لغوية جديدة لكي تشرف على النظام الكلامي بين أهل اللغة؛ لأن عالم اللسان يكون همه الوعي باللغة عبر إدراك نواميس السلوك الكلامي[3].

---

[1] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط5، 1984، مكتبة الانجلو المصرية، ص25

[2] ينظر : الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، (د.ط) 1999، وزارة الثقافة، عمان، ص445–472

[3] ينظر: عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ط1، 2001، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص18

المبحث الثاني
تعدد المعنى

ظهرت دراسة المعنى بوصفه فرعا مستقلا عن علم اللغة سنة 1839م، لكن هذه الدراسة لم تعرف بهذا الاسم (السيمانتيك) إلا بعد فترة طويلة أي سنة 1883م، عندما ابتكر العالم الفرنسي ميشال بريال(M.Breal) المصطلح الحديث[1].

يقول(بريال) عن هذا المصطلح: "إنَّ الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسمَ، بعد، نعم لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم الكلمات وشكلها، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة، والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أنَّ هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها، فإننا نطلق عليها اسم السيمانتيك للدلالة على المعاني"[2].

فالتعدد الدلالي والمشترك اللفظي يرتبطان معا بالتطابق الصواتي للمداخل المعجمية الواردة، ولكن التعدد الدلالي وحده يفترض في المداخل أن تكون متعالقة،ويخضع تقسيم المعنى في علم الدلالة لمبدأ عام ملخصه؛ أنَّ القيمة الدلالية للوحدة المعجمية لا يمكن اعتبارها دلالة قارة، إنما يخضع تحديد تلك القيمة لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة، ولقد قسم العلماء الدلالات اعتمادا على معايير أخرى ترتكز على الإدراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي، وهو لا يخرج عن ثلاثة اعتبارات هي: اعتبار العرف، أو اعتبار الطبيعة أو اعتبار العقل، وعلى ذلك فالدلالة إما عرفية أو طبيعية أو عقلية. وأخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات بناء على أداء السياق للمعنى، "فالكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه، وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا.

وهكذا يبدو النظام – وذلك في حالة لغة معينة – شبكة من الاختلافات بين العلامات إذ

[1] أولمان، استيفن، دور الكلمة، مقدمة المترجم، ص9

[2] انظر: عبد الجليل، منقور، علم الدلالة، ص17

" لا وجود للغة إلا بالاختلافات"[1]، فإن علامة ما هي قبل كل شيء ما لا تكونه العلامات الأخرى، فاللغة منظومة لا قيمة لمكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها، أي لا يمكن للألسني اعتبار مفردات اللغة كيانات مستقلة، بل يجب عليه وصف العلاقات التي تربط هذه المفردات، وإن توهم المتخاطبون أن كل إشارة تشكل وجوداً مستقلاً؛ فالنظام هو الذي يمفصل ويقطع الوحدات بطريقة اعتباطية كلياً[2]، ومنذ ذلك يصبح المعنى تابعاً "للقيمة"[3]، المعرّفة بأنها مجموع العلاقات التي بين علامة ما وبقية علامات النظام.

وليست كل الكلمات داخل الحقل في وضع متساوٍ، فهناك كلمات أساسية وأخرى هامشية، ولا بدَّ من وضع معايير للتمييز بين النوعين، وأشهر المعايير معيار (Kay, Berlin) ويقوم على المبادئ الآتية:

1. الكلمات الأساسية تكون ذات تقسيم واحد (Monogenetic) أي وحدة معجمية واحدة.
2. الكلمة الأساسية لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدود أو ضيق من الأشياء.
3. الكلمة الأساسية تكون ذات تمييز وبروز بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة.
4. الكلمة الأساسية لا يمكن التنبؤ بمعناها من معنى أجزائها بخلاف الكلمات الهامشية.
5. الكلمة الأساسية لا يكون معناها متضمنا في كلمة أخرى ما عدا الكلمة الرئيسة التي تغطى مجموعة مفردات.
6. الكلمة الأجنبية الحديثة الاقتراض في الأغلب لا تكون أساسية.
7. الكلمات المشكوك فيها تعامل في التوزيع معاملة الكلمات الأساسية[4].

---

[1] سوسير: علم اللغة العام، ص145، وينظر: السعران، محمود، علم اللغة ، ص303.

[2] سوسير: علم اللغة العام، ص22 – ص89. وينظر: غيرو، بيار، علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبي زيد، ط1، 1986، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ص31.

[3] سوسير: علم اللغة العام، ص143

[4] عمر، أحمد مختار، نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية، مجلة كلية الآدابوالتربية ، الكويت، ع 13، 1978م، ص9–11

ولقد عرّف "ليونز الكلمة بأنها محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في الحقل الدلالي نفسه، والعلاقة بين الكلمات داخل الحقل لا تخرج عما يأتي:

1. الترادف(Synonymy)[2]. الاشتمال أو التضمين(Hyponymy)[3]. علاقة الجزء بالكل(Part whole relation)[4]. التضاد (Antonymy)، 5. التنافر(Incompatibility)وليس بالضرورة تحقق هذه العلاقات جميعها في حقل معجمي واحد"[1].

إنَّ اللغة بدلالتها مؤشرلهذا المجتمع العربي بثقافته وفكره، وإنَّ هذه المؤشرات التي صدرت عن العرب في أمثالهم، تُقر باتجاه يذهب إلى أن ثمة إطاراً من المفاهيم المشتركة بين لغات البشر، وأنَّ كل اللغات تقاسم الأطر الأساسية للتصورات أو المفاهيم، ومن هذا المعين تمنح كل لغة تقسيماتها الجزئية الأخرى.

فالعربية ليست بِدْعاً من اللغات التي لها تصوراتها ومفاهيمها للأشياء، يعكسها الأفراد عبر التحققات اللغوية والاجتماعية في المواقف الكلامية.

- عوامل التطور الدلالي وأسبابه:

إنَّ من أهم جوانب التطور اللغوي هو تغير المعنى، والمعنى هو علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، ويقع التغيّر في المعنى كلما وجد تغيّر في هذه العلاقة[2]، ويظهر هذا التغير في صورتين:الأولى: عندما يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة، والثانية: عندما تضاف كلمة جديدة إلى مدلول قديم[3].

والعوامل التي تؤدي إلى هذا التغير أو التطور كثيرة ومختلفة، فمنها عوامل مقصودة متعمدة، كقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية بوضع مصطلحات جديدة، أو إضفاء دلالات

---

[1] السابق، ص14

[2] ينظر : دي سوسير، علم اللغة العام، ص93.

[3] ينظر :أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ص 152.

جديدة على ألفاظ قديمة لمجاراة التطور في مجالات الحياة المختلفة[1]،وهذه العوامل تأثيرها محدود في اللغات، وهي لا تنال اهتمام الدارسين، أما العوامل الأخرى غير المقصودة التي تتم بلا تعمد أو قصد فهي التي حظيت بالاهتمام والدراسة، وقد استطاع الدارسون المحدثون من خلال استقراء اللغات الإنسانية وتاريخها والأطوار المختلفة التي مرّت بها أن يحددوا عدداً من الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة في كل اللغات الإنسانية؛ لأن لغات البشر على اختلافها تخضع لقوانين عامة في التغير والتطور[2]؛ كالحاجة إلى كلمة جديدة تعبر عن معنى جديد، والتطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية، والتطور الذي يحدث في اللغة نفسها من ناحية الصيغ والتراكيب والأساليب.

وقد تنوعت أسباب التطور الدلالي بتنوع العوامل المؤثرة في تطور اللغة، ومنها؛ عوامل خارجية: تتعلق بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية، وعوامل داخلية: تتعلق باللغة نفسها وهي الأسباب أو العوامل الصوتية والاشتقاقية والنحوية والسياقية التي نميزها من خلال الاستعمال، وهناك أيضا عوامل منها[3]؛

1. انتقال اللغة من السلف إلى الخلف،
2. تأثر اللغة بلغة أو لغات أخرى،
3. العوامل الاجتماعية والنفسية والجغرافية كحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها وهيئتها الجغرافية،

---

[1] ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 134، و عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص 111، وعمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 242.

[2] ينظر: فندريس، اللغة، ص 246 – 247، و السعران، محمود،علم اللغة، ص 280.

[3]وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط7، (د.ت)، دار النهضة، مصر للطباعة، ص249–250، وقد ذكر ست طوائف في كتابه اللغة والمجتمع، ص8، منها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية، وعوامل لغوية.

4. العوامل الأدبية التي تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة وما تبتذله معاهد التعليم، والمجامع اللغوية وما شابهها في حماية صلاتها باللغات الأخربوتنظيمها.

وقد عدد(بالمر) نقلا عن العالم اللغوي الأمريكي (بلومفيلد) أنواعا من تطور دلالة الألفاظ ومنها:

1. تضييق الدلالة أو تخصيصها.
2. توسيع دلالة اللفظة،.
3. نقل دلالة اللفظة إلى شيء يقارب دلالتها الأصلية مكانا أو زمانا.
4. تغيير مجال الاستعمال عن طريق المجاز.
5. نقل المعنى من الكل إلى الجزء أو العكس.
6. نقل المعنى من الأقوى إلى الأضعف.
7. نقل المعنى من الأضعف إلى الأقوى.
8. انحدار الدلالة أي نقل المعنى من الأفضل إلى الأدنى.
9. تسامي الدلالة أي نقل المعنى من الأدنى إلى الأفضل[1].

---

[1] ينظر أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي، ص56

المبحث الثالث
تغيّر المعنى(التطور الدلالي)

لاقى السيمانتيك التاريخي (Semasiology) عناية اللغويين في وقت مبكر جدا لا يتجاوز أوائل القرن التاسع عشر، وفي هذا القرن حاول العلماء كذلك تقعيد التغيرات التي تحدث للمعنى، وكان تغير المعنى هاجسا للبحث والدراسة.

ومن أهم ما شغل علماء اللغة موضوع تغير المعنى، وصور هذا التغير، وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ أو موتها. فالمفردات في حركة دائمة، لأنها تتبع الظروف الاجتماعية المتغيرة على الدوام، فتنزع سياقها القديم، وتلبس سياقاً جديداً يناسب المرحلة والظروف، فتكتسب معنى آخر وتشرح فكرة أخرى، وعلى هذا فإن ما نعنيه بتغيّر المعنى هو تغير الكلمات لمعانيها كما يقول أولمان: " يقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية، ويظهر هذا التغير في العلاقة على صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة، أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم "[1].

لقد حاول علماء النحو وعلماء البلاغة جاهدين منذ أرسطو أن يخضعوا تغيرات المعنى لشيء من التنظيم والتقعيد، غير أنهم حصروا جهودهم قروناً طويلة في تصنيف المجازات لأسباب جمالية أو أسلوبية، وحين انتقل الأمر إلى علماء اللغة حاولوا تنظيم البحث من عمليات انتقال المعنى دون اعتبار لمضموناتها الأدبية[2].

فالمعنى، كما يرى(أولمان) علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، وعلى هذا يقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية[3]، وقد تساءل (Cohen) في كتابه (The

---

[1]أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص177

[2]نفسه، ص190، و بيار غيرو: علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1986م، ص58

[3] أولمان: دور الكلمة، ص150

(Diversity of Meaning، قائلا: هل يتغير المعنى؟ ثم أجاب قائلا: إنَّ نفس الكلمات – بسبب تطور اللغة خلال الزمن– تكتسب معنى آخر، وتشرح فكرة أخرى، وعلى هذا فإنَّ ما نعنيه بتغير المعنى هو تغيير الكلمات لمعانيها[1].

ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة الحاجة إلى كلمة جديدة تعبر عن معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل، فالمتكلمون بلغة من اللغات عندما يستجد لديهم معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل، يحاولون تعيين دالٍ له من ذخيرتهم اللفظية القديمة، وهنا تتغير العلاقة بين هذا اللفظ ودلالته القديمة؛ لأنه أصبح يدل على شيء آخر، قد تكون له علاقة بالمعنى القديم، مثل: المشابهة أو المجاورة[2]، أو غير ذلك، وقد لا تكون ثمة علاقة بين المعنيين، "وينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد"[3].

ومن خلال ما سبق، تكون الحاجة هي التي أدت إلى تغيير المعنى، وستظهر أسباب تغيير المعنى؛

---

[1]ينظرعمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص235

[2]ينظر: أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة ،ص159، و الداية، فايز، علم الدلالة العربي، ص264، و عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص237 – 238.

[3] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ 130.

- **أسباب تغيير المعنى:**

يرى أولمان أن أسباب التغير هي لغوية وتاريخية واجتماعية وهذه الأنواع مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضح حالات كثيرة من تغير المعنى، ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال[1]، وهي :

1. الأسباب اللغوية: وتعني أن الكلمة أو العبارة تؤدي معنى معروفاً من خلال كلمة معينة نتيجة الترابط ومن ثم أصبحت اسما له، كـ" محرر المرأة" فهو ارتبط ارتباطا وثيقا بقاسم أمين، وأصبحت بعدها تعني هذا الرجل، وكذلك كلمة شاعر النيل المراد بها حافظ إبراهيم.
2. الأسباب التاريخية: قد يلحق المدلول التغير ولكن اللفظ الدال عليه قد يبقى على حاله، فكلمة سفينة ما زالت تستخدم لكنها لا تدل على ما كان يستخدم قديما من السفن، فالحجم والشكل والخواص مختلفة تماما.
3. الأسباب الاجتماعية: تنتقل معاني الكلمات من كونها مصطلحاً إلى لغة مشتركة بين الناس، فكلمة صلاة وحج اكتسبته معانيها الاصطلاحية المعروفة بها، والآن تستعمل بمفهوم آخر لتطور البيئة "[2].

إنَّ"الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور، فيراها الناس من وراء تلك الخزائن ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة، ولو كانت كذلك لبقيت على حالها تتناقل بين الأجيال بلا تحول أو تغير"[3].

---

[1]أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص157–160

[2]أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص171–174

[3]أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص138

"فمعنى الكلمات محدّد وفق قائمة بمفردات اللغة، وترتبط فيما بينها بمجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة والاستبدال، ويتحدّد المعنى أكثر حين ظهوره في بنية المعجم الذي يمتلكه المتكلم، أو وفق التغيّرات التي تطرأ على معاني الكلمات المرتبطة بالحقل المعيّن"[1].

ومن أهم أسباب التغيّر الدلالي:

1. **ظهور الحاجة:**

فيلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على مستحدثاتهم ملتمسين في هذا أدنى ملابسة، يقول " والدرون (Waldron):في المخترعات والاكتشافات الحديثة نحن نستعمل ألفاظا قديمة لمعانٍ حديثة ولذا يتغيّر المعنى، ويضيف بأنَّ مصطلحات العلوم والرياضة والتخصصات المختلفة قد تنتقل إلى لغة الناس كذلك"[2].

وقد عرّف علماء اللغة القدامى والمعاصرون أنَّ الحاجة أو الضرورة هي التي تدعو أهل لغة ما إلى اقتراض بعض الكلمات التي لا توجد في لغتهم من لغات أخرى واستعمالها، فاللغات يستعير بعضها من بعض، وهذا قانون عام في جميع اللغات، وهو أيضاً سبب من أسباب التطور الدلالي[3]، نحو؛ كلمة (سلسبيل) في قوله تعالى: (عيناً فيها تسمى سلسبيلاً)[4]، قال الزّجاج في تفسيرها: "وسلسبيل اسم العين إلا أنه صرف لأنه رأس آية، وسلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأَنَّ العَين – والله أعلم– سميت بصفتها"[5]، وعند

---

[1] ينظر :عزوز ،أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، 2002 اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص13

[2] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص238

[3] ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 148 – 149.

[4] الإنسان، 18

[5] ينظر الزجاج، معاني القرآن ، 5/ 261.

ابن منظور: "والسلسبيل السهل المدخل في الحلق، ويقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، قال ابن الأعرابي: لم أسمع سلسبيل إلا في القرآن"[1].

وجاء في كتاب (المزهر) للسيوطي: "إن لفظ (الجاهلية) اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، و(المنافق) اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية"[2]، ويظهر هنا أنَّ الحاجة تستدعي وجود ألفاظ جديدة، أو معانٍ جديدة للزمن التي وجدت فيه.

كما يقول إبراهيم أنيس: "هكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة، فمثلا: المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والذبذبات والتسجيل والجرائد والصحف، وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحياها الناس أو اشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم الجديدة، وتتم هذه العملية عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية، أو قد يقوم بها بعض الأفراد من الموهوبين في صناعة الكلام كالأدباء والكتاب والشعراء، ثم تفرض تلك الألفاظ في وضعها الجديد على أفراد المجتمع للتداول والتعامل بها"[3].

تطور الدلالات يكون وليدا للتجديد في التعبير ويتم هذا من أصحاب المهارة في الكلام.

2. التطور الاجتماعي والثقافي:

ويكون هذا من خلال الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية نتيجة لتطور العقل الإنساني ورقيّه، وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب،(د.ط،د.ت) دار صادر، بيروت،سلسل

[2] ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 301/1، وينظر: أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي، ص148 – 150.

[3] أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، ص146–147

صورة تدريجية ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة، وقد تندثر وقد تظل مستعملة جنبا إلى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر"[1].

وأيضا يعود هذا إلى اتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تحددها تتماشى مع الأشياء والتجارب والمفاهيم الملائمة لمهنها أو ثقافتها، وهذه المجموعة تتفق فيما بينها، بينما تواجه صعوبة مع فئات مختلفة على هذا المدلول الجديد، كما حدث في أثناء التغير الاجتماعي والثقافي بالثقافة الجديدة الإسلامية العربية بمفردات الصلاة والحج والزكاة "[2]، وهذه مفردات جديدة طرأت على الحياة الجديدة، "وهذا الاتجاه في مثل هذه الدلالات يميل نحو التضييق في معنى الكلمة حين تنتقل من الاستعمال العام إلى المجالات المتخصصة "[3].

ومن أسباب التطور الاجتماعي والثقافي استمرارية استخدام اللفظ ذي المدلول القديم وإطلاقه على مدلول حديث، لتستمر الوظيفة اللغوية رغم الاختلاف في الشكل، من ذلك كلمة (ship) سفينة، فلم تتغير صيغتها فالسفن الحالية تختلف عن السفن التي كانت تبحر في القديم تختلف عن الحديثة في الخواص، ومن ذلك أيضا (book)"[4].

3. التطور الصوتي:

قد يكون التطور الصوتي سبباً في التطور الدلالي أحياناً، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغير أصواتها يساعد على تغير معناها؛ لأنَّ تغير صورة الكلمة

---

[1] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص161-162

[2] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص239

[3] أولمان: دور الكلمة، ص159-160

[4] المصدر السابق، ص158

الصوتية يضعف صلتها في الأذهان بأصلها وأسرتها، وهذا يجعل معناها عرضة للتغير والانحراف[1].

وتطور أصوات الكلمة قد يجعلها تصبح مماثلة لكلمة أرى لها معنى آخر فيختلط المعنيان وينجم عن ذلك معنى جديد، ومن ذلك كلمة (كماش) الفارسية، وتعني: نسيج من قطن خشن، وتطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشابهت الكلمة العربية (قُماش) وتعني: "ما كان على وجه الأرض من فُتات الأشياء... حتى يقال لرُذالة الناس قماش.. وقُماش البيت: متاعه"[2]، وأصبحت هذه الكلمة ذات دلالة جديدة على المنسوجات[3].

ويكون التطور بقانوني المماثلة والمخالفة، فقانون المماثلة حيث تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، وتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكل تتفق في المخرج في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام[4].

أما "قانون المخالفة؛ يحدث عندما يجتمع صوتان متماثلان تماما في كلمة من الكلمات، فإنّض أحدهما قد يتغير إلى صوت من أصوات العلة الطويلة في الغالب، مثال؛ قرّاط، ودنَّار، بدلا من قيراط ودينار، بدليل الجمع قراريط ودنانير"[5].

4. مايستقبح ذكره:

تحظر اللغات استعمال بعض الكلمات لما لها من مدلول مكروه، وهو مايعرف ب(taboo)[6]، لكن هذا لا يُفْضى إلى تغيير المعنى، بل يؤدي إلى تغيير في دلالة اللفظ، وهذا

---

[1] ينظر: وافي، علي عبد الواحد،علم اللغة، ص 322، و ينظر: فندريس، اللغة، ص 253.

[2] الزبيدي، تاج العروس (قمش) 17/340 – 341.

[3] ينظر: عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص112 – 113.

[4] أبو عودة، عودة، التطور اللغوي، ص51

[5] المصدر السابق، ص51

[6] نفسه، ص177

يسمى ب(التَّلطف) وهو في حقيقته" إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا، وهذا التلطف هو السبب في تغير المعنى"[1].

وهناك العديد من أسباب التغير في المعنى، ومنها الانحراف اللغوي ويكون بسبب سوء الفهم أو الغموض والالتباس[2]، وقد يكون هذا الانحراف بسبب التغير الفجائي الذي يتأتى بسبب فجوة لغوية مابين الأجيال، ومنها الابتداع أو الخلق الجديد لألفاظ تعطى الكلمة معنى جديد يبدأ أول الأمر اصطلاحيا.

ومنها يأتي (الابتذال أو اللامساس)[3]، ويكثر ذلك في الألفاظ التي تعبر عن الحاجات الإنسانية والغرائز، والألفاظ التي ترتبط بالقذارة والدنس؛ لأنَّ هذه الحاجات كثيراً ما يكنَّى عنها بكنايات معينة، غير أن كثرة استعمال تلك الكنايات يؤدي إلى شيوعها وابتذالها حتى تصبح أشد من التصريح، فتهجر تلك الألفاظ وتندثر من الاستعمال، وتحل محلها ألفاظ جديدة أكثر تعمية وغموضا عن المقصود من الألفاظ القديمة، لكنها بمرور الوقت وكثرة التداول تفقد هذه الميزة، فتترك لتحل محلها ألفاظ أخرى، تدل دلالة غير مباشرة على المعنى المراد، وهكذا تدور الألفاظ في دورة متصلة.

وحفل القرآن الكريم بمثل هذه الكنايات التي لا تدل دلالة مباشرة على المعنى المقصود، فمن ذلك كلمة: (الغائط) التي تعني في اللغة: المكان المنخفض، أو الوادي[4]، وقد جاءت في القرآن الكريم كناية عن قضاء الحاجة، نقل الزبيدي في معجم (تاج العروس) أن الغائط: "كناية عن العَذِرَة نفسها ... لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك أتوا الغائط وقضوا الحاجة، فقيل لكل من قضى

---

[1]أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، ص139–145، وينظر أولمان، دور الكلمة، ص177

[2]ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 135، وعمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص240

[3] ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 139، وأولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة،ص 174، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 239 – 240.

[4]ينظر:الزبيدي، تاج العروس (غوط) 520/19

حاجته: قد أتى الغائط، يكنى به عن العذرة، وفي التنزيل العزيز: { أو جاء أحد منكم من الغائط}[1]، وكان الرجل إذا أراد التبرّز ارتاد غائطاً من الأرض يغيب فيه عن أعين الناس، ثم قيل للبراز نفسه . وهو الحدث . غائط، كناية عنه إذ كان سبباً له"[2].

وبسبب كثرة استعمال هذه اللفظة في ذلك المعنى أصبحت صريحة فيه، فعدل عنها الناس، لذلك لا نجد اليوم من يستعملها حتى في لغة الكتابة، واستعاض الناس عنها بألفاظ أخرى فيها شيء من التعمية والغموض، تتماشى مع التطور الحضاري للمجتمعات، من مثل: (قضاء الحاجة، التواليت، الذهاب إلى الحمام).

إنَّ أسباب تغيّر المعنى كثيرة لا حصر لها فـ"إنَّ عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة، وبعضها فريد في نوعه، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة أسباب مهمة لتغير المعاني، وهذه الأسباب لغوية وتاريخية ونفسية، ومنها التأثير الأجنبي والحاجة إلى اسم جديد"[3].

- **مراحل تغير المعنى:**

مراحل التغير كما يقول (استيفن أولمان)[4]:

1. مرحلة التغير نفسه أو الابتداع والتجديد (In novation)، ويظهر في الكلام الفعلي (Speech)، بالتالي هو عمل فردي كالكلام نفسه، وهذه المرحلة فردية Individual.
2. مرحلة انتشار التغير (Dissemination)، وهذهتكون بسماع الكلمات وانتشارها بين الناس، ومن ثم تسجيلها في المعجم وهذه المرحلة اجتماعية(**Social**)وتعتمدعلى قوة التقليد.

---

[1]النساء، 43

[2]ينظر:الزبيدي، تاج العروس (غوط) 19/ 521 – 522.

[3]ينظر: لعيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، ص15.

[4]أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص169

ومن خلال المرحلتين الفردية والاجتماعية تظهر أشكال تغير المعنى، التي سنتحدث عنها.

- **أشكال التغير الدلاليSemantic change:**

وهو مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الحديث، وهو تركيب وصفي يدل على حدث موصوف خالٍ من الدلالة على الزمان، ويطلق هذا المصطلح على تغير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار أو مجاز، وهو ينتمي إلى علم الدلالة التاريخي (Historical Semantics).

فيحدث التغير الدلالي– كما يرى علي عبد الواحد وافي– من تلقاء نفسه، وبطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، ويحتاج إلى وقت طويل، كما يرى أن التغير الدلالي إذا ظهر في بيئة معينة تأثر به جميع أفراد هذه البيئة"[1].

من أشكال التغير الدلالي التي سندرسها؛ تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى، وتعميم الدلالة أو توسيع المعنى، وانتقال الدلالة ورقيهاوانحطاطها، والتحول نحو الدلالات المضادة.

وسنقوم في هذه الدراسة بالبحث عن هذه المظاهر، وهي:

1. **تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى**Narrowing Of Meaning

يعد تضييق المعنى أو تقييده أو تخصيصه اتجاهاً عكس الاتساع، ويعني ذلك بقصر العام على بعض أفراده، ويمكن تفسيره على أساس أن انقراض بعض الأشياء أو العادات أو مظاهر السلوك المعبر عنها دلالياً يؤدي إلى انحصار الدلالة بما بقي من ذلك متداولاً، دون أن تلغي المرحلة التي كانت الدلالة فيها عامة، وهو يعد تضييق معنى الكلمة بمرور الزمن، فتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي.

[1]وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ص314–317

وقد تحدث السيوطي (ت911هـ) عن هذا المظهر ضمن باب في كتابه (المزهر) سماه: (معرفة العام والخاص) ذكر فيه اللفظ (العام المخصوص) وهو عنده اللفظ الذي: "وضع في الأصل عاماً، ثم خصَّ في الاستعمال ببعض أفراده... وقد ذكر ابن دريد أنَّ (الحج) أصله: قصدك الشيء وتجريدك له، ثم خُصَّ بقصد البيت، فإن كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالاً فيه، وإن كان من الشرع لم يصلح، لأن الكلام فيما خصته اللغة لا الشرع، ثم رأيت له مثالاً في غاية الحسن، وهو لفظ (السبت)، فإنه في اللغة (الدهر)، ثم خص في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر، ثم رأيت في الجمهرة: رثُّ كلَّ شيء: خسيسُه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش، وهذا مثال صحيح"[1].

وتكثر ظاهرة التخصيص الدلالي في مجال المصطلحات العلمية، إذ تجرد الكلمة من دلالاتها المتعددة، لكي تدل على معنى معين في بيئة علمية خاصة، نحو؛

المأتم: فكانت تطلق على النساء إذا اجتمعن في خير أو شر، والآن هي تطلق على الاجتماع في مصيبة الموت[2].

الحريم: كانت تطلق على كل محرم لا يمس، وهي الآن تطلق على النساء خاصة[3]، فتسمع هذه الكلمة كثيرا على ألسنة الناس، من مثقفين وغير مثقفين، فالحريم هي العائلة، وبديل عن اسم الزوجة أو الأخت، أو الأم.

وقد فسّر أحمد مختار عمر هذه الظاهرة بأنها نتيجة إضافة لبعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفراده[4].

---

[1]السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 427/1.

[2]الفيومي، المصباح المنير، ص1

[3]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص154

[4]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص246

ومن التخصيص في اللغة العربية مثلاً "**الرث**" التي ترد صفة لكل خسيس، ثم غدت تخص اللباس البالي[1]، وفي الفرنسية كلمة (poison)التي تدل على الجرعة من أي سائل تخصصت بالدلالة على الجرعات السامة دون غيرها[2]، وفي الإنكليزية من هذا النحو كلمة(meat) التي كانت تدل على الطعام مطلقاً ثم أصبحت تدل على اللحم خاصة.

ويمكن "تفسير تضييق المعنى وتوسيعه على أنه نتيجة زيادة بعض الملامح التمييزية للفظ في التضييق، وإسقاط بعض ملامحها التمييزية في التوسيع"[3].

2. اتساع المعنى أو تعميم الدلالة Widening

وهو عكس التخصيص، وهي تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل، أو تدل على معنى أعم من معناها.

وتناول ابن فارس في كتابه (الصاحبي)[4] ظاهرة تعميم الدلالة وأفرد لها باباً بعنوان: (القول في أصول أسماء قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرها) جاء فيه: "كان الأصمعي يقول: أصل (**الوِرْد**): إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء ورداً.

و(**القَرَبُ**): طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال: (هو يقرب كذا) أي: يطلبه، و(لا تقرب كذا).

و(رفع عقيرته) أي صوته، وأصل ذلك: أن رجلاً عقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد لكل من رفع صوته: رفع عقيرته"[5].

---

[1]ينظر: فندريس، اللغة، ترجمة :عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، 1950م،مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة،ص256 وما بعدها

[2]أولمان، دور الكلمة، ص191

[3]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص245-246

[4]ابن فارس، الصاحبي، ص112

[5]ابن فارس، الصاحبي، ص 112، وينظر:السيوطي، المزهر في علوم اللغة، 429/1.

ويقع توسيع المعنى(Widening) أو امتداده(Extension) عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، ويعني أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل، كإطلاق اسم "**الوردة**" على الزهرة عموماً كما في السلافية الجنوبية[1]، وكلمة (picture) التي كانت تسمى بها اللوحة المرسومة على الصور الفوتوغرافية كلها في الإنكليزية[2]، وكلمة " **البأس** " التي في أصلها تعني الحرب في العربية، فغدت تدل على الشدة في كل شيء[3].

وهو أيضا، كما يعدّه إبراهيم أنيس،" تعميم الدلالة وهو أقل شيوعا من تخصيصها في اللغات، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها"[4]، في حين يرى أحمد مختار عمر عكس ما جاء به أنيس، فيقول بأن هذا الشمل يعد على قدم المساواة في الأهمية مع تضييق المعنى[5].

نحو؛ كلمة **اتقى** تعني في الأصل: وقى نفسه ثم استعملت كلمة (التقوى) بمعنى أعم من المعنى الأصلي فأصبحت تفيد العمل الصالح، وأصبحت كلمات: (التقي والمتقي) تدل على الرجل الصالح، ذكر ابن منظور":أن العرب تقول: "رجل تقي، ويجمع على أتقياء، معناه أنه مُوقٍ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها"[6].

الورطة: بمعنى الهلاك، أصل معناها: الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص، وقيل أصلها أرض مطمئنة، لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص ثم استخدمت في الشدة[7].

---

[1]فندريس، اللغة، ص258

[2]مختار، أحمد مختار، علم الدلالة، ص244

[3]ينظر للمزيد مبارك، محمد، فقه اللغة، وخصائص العربية،ط7، 1981، دار الفكر، بيروت، ص218-219، وقدور، أحمد، العربية الفصحى المعاصرة، 1991م الدار العربية للكتاب، تونس، ص58-60

[4]أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص154

[5]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص243

[6]ينظر : لسان العرب (وقي)

[7]ابن منظور، لسان العرب، ورط

ولفظ **(الاحتيال)** لم يكن يحمل أية دلالة سيئة، فقد قيل إنه مأخوذ من الحركة لأنَّ العرب تقول: "حال الشخص يحول إذا تحرك"[1]، ثم أصبح بمعنى: "الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف"[2]. ولكثرة استعمال هذا اللفظ في العبارات التي تتحدث عن تحصيل الرزق من بيع أو شراءٍ أو عملٍ، فيقال: (احتال لطعامه ولعيشه..) ونتيجة لما يصاحب ذلك أحياناً من غشٍ وغبن، وغير ذلك من الأمور الذميمة، حملت هذه اللفظة مع تقادم الأيام ظلالاً من هذه المعاني، فأصبحت كلمات: (الحيلة والاحتيال والمحتال) تفيد الذم القبيح.

العقيلة: في الأصل هي المرأة الكريمة النفيسة، ثم استعمل في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني، فاستخدم في عقائل الكلام، وأطلق على الكرائم من الإبل، وعلى درر البحر، وكرائم مال الإنسان[3].

البأس: قال ابن سيده، البأس الحرب، ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك أي لا خوف[4]، وأصله الشدة في الحربن ثم استعمل للدلالة على كل شدة[5].

الأيِّم: في الأصل هي المرأة التي لا زوج لها، ثم توسعت دلالتها فعبر به عن الرجل لا زوجة له إضافة إلى معناه الأصلي[6]، وهناك ألفاظ كثيرة تدل على تعميم الدلالة أو المعنى منها حاتم فتدل على كل كريم، وفرعون تدل على كل طاغية وظالم، مال قارون تدل على صاحب المال الكثير.

3. انتقال المعنى أو انتقال الدلالة:

---

[1] ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، (حول) 148.

[2] ينظر : لسان العرب (حول) 185/11.

[3] ابن منظور ،لسان العرب، عقل

[4] نفسه، بأس

[5] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص155

[6] القرطبي، أبو عبد الله محمد ابن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،(د.ط) 1990، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 243-242/12

يعتمد هذا الشكل على وجود علاقة مجازية، قد تكون علاقة مشابهة عن طريق الاستعارة (Metaphor) أي استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي لوجود هذه العلاقة، وقد تكون علاقة غير المشابهة وتأتي عن طريق المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة، يسمى هذا المعنى غير الأصلي للكلمة بالمعنى المجازي أي المحول عن طريق المجاز[1].

يقول (فندريس) في تحديد المراد بانتقال المعنى: "يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص "[2].

ومن أشكال انتقال المعنى ما يعرف باسم انحطاط المعنى أو ابتذاله وعلى العكس رقي المعنى، فأحيانا هناك كلمات تصعد السلم اللغوي بالرقي وأحيانا تهبط إلى الحضيض في السلم نفسه، ومنها:

1. **الألفاظ البالية:**

يصيب اللفظ بعض التغير في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته فتختلط الدلالتان، ويصبح هذا ما يسمى بالمشترك اللفظي، فمثلا كلمة " القماش"[3] هي مألوفة الآن وتوسم بالأقمشة الحريرية أو الصوفية، وحين البحث عنها في المعاجم سنجد أنها تدل على القماش أراذل الناس، والقماش ما وقع على الأرض من فتات الأشياء، وهذا القول عند الفيروز أبادي، ومهما كانت دلالة الكلمة لكنها الآن تطورت حتى صارت مألوفة لنا وكيف تطورت هذه الكلمة فهذه من الأسباب الغير معروفة.

وكثيرا ما تتطور صور الكلمات ويترتب على هذا التطور تغير أو تطور في الدلالة، وقد يصل التطور في الصورة مداه، فتندثر الكلمة وتفنى من الاستعمال[4].

---

[1]حيدر، فريد، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، (د.ط)1999، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص79

[2]فندريس: اللغة، 256

[3]وقد ذكرت ذلك في التطور الصوتي، وكيف انتقل حرف الكاف إلى القاف

[4]أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص139

2. الابتذال أو الانحطاط الدلالي:

وهذا عادة يصيب بعض الألفاظ في كل لغة من اللغات لأسباب منها السياسي ومنها الاجتماعي ومنها العاطفي، فكثيرا ما تضعف الدلالة فنراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام.

وهناك ألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر في قوة عن أمر شنيع أو فظيع، حتى إذا طرقت الآذان فزع المرء لسماعها، وأحس أنها أقوى ما يعبر عن تلك الحال، وبعد ذلك تشيع هذه الألفاظ ويكثر تداولها بين الناس، وقد فسّر بعضهم هذه الظاهرة على أنها دليل على وجود نزعة تشاؤمية في العقل الإنساني[1].

وهذا يعني أن تنحط الدلالة أو تنعزل وتندثر الكلمة، فلا تجري على الألسنة، فلا تستعمل، ومن ذلك ألفاظ الرتب والألقاب التي تستعمل في مصر(باشا، بك، أفندي) فهذه الألقاب التركية كانت تمثل مركزاًمهماً ومكاناً مرموقاً، إلا أنها وصلت إلى مرحلة الانحطاط الدلالي فصارت كلمة (أفندي) تدل على قدر تافه وغدت أقل الرتب العسكرية.

مما يؤدي إلى هذا الابتذال قبح الدلالة أو الذي يتصل بالقذارة والدنس أو ما له صلة بالغريزة الجنسية، وهذه الألفاظ تنعزل أو تنزوي في الاستخدام ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحا في دلالته، وأكثر غموضا أو تعمية[2].

ومن تطور الدلالة الدائمة تلك التي تشير إلى التبول والتبرز، فلايكاد اللفظ منها يشيع حتى يمجه الذوق الاجتماعي، وتأباه الآداب العامة التي يستعاض عنها بآخر من نفس اللغة وأحيانا إلى لغة أجنبية، ومن هذه الألفاظ: الكنيف/ الششمة(فارسية)/ الكرسي/ المستراح/ بيت

---

[1]أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، ص156، أولمان: دور الكلمة، ص180-181

[2]أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ، ص140

الراحة/ بيت الأدب/ المرحاض/ الكابنيه(كلمة أوروبية)[1]، والآن تواليت، وw.c، هذه الألفاظ تتطور يوما بعد بيوم وذلك بسبب تطور الحياة وتمدنها.

ومما انتشر من ألفاظ الدلالة هي النواحي الجنسية، فلمحنا الكناية والتعمية مطلوبة ومستحبة، فلأعضاء التناسل في كل لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة، وكذلك للعمليات الجنسية، فالإنسان لا يحبذ الكلمات المكشوفة بل يلجأ إلى التعمية والتورية لتقبلها النفس، وهذا ملموس في القرآن الكريم، فوصفت هذه العملية بـ: السر، الحرث، الإفضاء، المباشرة، الملامسة، الدخول، الرفث، فقال تعالى: "نساؤكم حرث لكم"، و"أو لا مستم النساء"، و" أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم"، و"فالآن باشروهن في المضاجع"، فهذه الألفاظ أتت من باب التلطف والاستحسان بعيدا عن الكلمات المنفرة، وكنّى عنها العامة بالنوم، والاستحمام، والاجتماع، وأصبحوا يتحاشون كلمة "النكاح" التي لم تكن تعنى سوى الزواج، ثم ارتبطت في أذهان العامة بالعملية الجنسية ارتباطا وثيقا، وقد كانت لا تستعمل فيها إلا عن طريق الكناية المقبولة لدى العرب القدماء[2].

وكما هربوا من تلك الكلمات المخجلة للفطرة البشرية كذلك هربوا من ألفاظ الموت والأمراض، وحتى الأشباح والعالم الروحي أو الغيبي فهذه تثير الخوف والهلع في النفوس، وهذه الأمور تؤدي إلى تغير دائم في المعنى والدلالة.

ومن أمثلة انتقال المعنى تحول كلمة " style " في الإنكليزية من آلة الكتابة إلى نوع من الوظائف التي تقوم بها لتصبح " أسلوباً "[3]، ومنها التعبير عن أحد أعضاء البدن باسم عضو

---

[1] نفسه، 141-142

[2] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص142

[3] أولمان: دور الكلمة، ص191

آخر مثل استخدام كلمة " **صدر** " بدلاً من ثدي، وكلمة " **الشنب** " التي كانت تعني في القديم جمال الثغر وصفاء الأسنان، وهي في الاستعمال الحديث تعني الشارب[1].

"ويشكل – في هذا التصنيف – المجاز المرسل والإضمار حالتي حصر وانتشار للمعنى؛ والحصر حين يؤخذ الجزء على أنه الكل، بينما يكون الانتشار الحالة العكسية، بيد أن الاستعارة المجردة والاستعارة انتقالان للمعنى"[2]، وذكر أولمان، نوعاً آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه في الشعور نحو جانبي الاستعارة، وفي نوع الإحساس بها، أكثر من اعتماده على التشابه في الصفات، ومن الأمثلة على ذلك قولهم: تحية عاطرة، واستقبال بارد، ولون دافئ، وصوت حلو، يقول: "فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهاً بين الدفء ولون معين من الألوان، وتشابهاً بين المذاق الحلو والصفات الجميلة للصوت"[3].

ومن الاستعارات الشائعة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية المحسوسة للدلالة على المعاني المجردة، كما في قولهم: جَسَّمَ المشكلة، وعَقَّدَ المسألة، ورَكَّزَ الفكرة[4].

والاستعارة أسلوب مهم من أساليب العرب في الكلام، وقد حفل كلامهم شعراً ونثراً بالاستعارة وبغيرها من ألوان المجاز، وعلى وفق أساليبهم تلك نزل القرآن الكريم.

إن هذا التقسيم المنطقي5 كان أفضل الممكنات في عصر لم يعرف الأسس النفسية والسيميائية للكلام، غير أن التطورات التي أصابت نظرية العلامات وتحليل قضية الدال أفقدت هذه التقسيمات كل قيمة استكشافية، وأنقصتها جزءاً من سبب وجودها.

---

[1] عمر ،أحمد مختار، علم الدلالة، ص247

[2] غيرو: علم الدلالة، ص59

[3] أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص170.

[4] ينظر: مطر، عبد العزيز، علم اللغة وفقه اللغة، ص 53.

[5] وهنا يقصد بهذا التقسيم، ما جاء قديما عند العلماء، فلم يكن يعرف المصطلحات الجديدة، بهذا التقسيم الدقيق للمصطلحات.

وأوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ التي تتصل بالناحية النفسية العاطفية، وذلك كأن يكون اللفظ قبيح الدَّلالة أو يتصل بالقذارة والدنس، أو يرتبط بالغريزة الجنسية، فهنا نلحظ أنّ كل اللغات تفقد بعضا من ألفاظها التي تعبر عن هذه النواحي، فتندثر تلك الألفاظ وتنزوي ويحل محلها لفظٌ آخر أقل وضوحا في دلالته وأكثر غموضا أو تعمية، مثل قضاء الحاجة، أنا ذاهب للحمام1. وهناك ألفاظ كثيرة يصيبها الابتذال والانحطاط وقد تكون الأسباب سياسية أو اجتماعية أو عاطفية، ويكون من ذلك أيضا انزواء اللفظة.

ويرى تمام حسان أنه قد تسوء سمعة الكلمة، لطول ارتباطها بمدلول غير كريم، فتطرح هذه الكلمة وتستعمل كلمة أخرى في مكانها، غير مثقلة بارتباطات ممجوجة من جهة المعنى، فتستخدم فيه أولا على طريقة المجاز، ويعتبر عنصر الدلالة المجازية فيها مناط التبرير في قبولها؛ حيث يعتبر استعمالها المجازي نوعا من التنزه عن ذكر الكلمة الأولى التي ساءت سمعتها، ثم يطول الأمد على استعمال الكلمة الثانية فتسوء سمعتها أيضا، ولا يزال هذا المدلول الممجوج يستهلك الكلمات واحدة بعد الأخرى إلى ما لا نهاية، انظر مثلا إلى تعاقب الكلمات الآتية على معنى قضاء الحاجة: غائط، خلاء، كنيف، بيت أدب، مرحاض، دورة مياه، حمام، وقد كانت كل واحدة من هذه الكلمات قبل إسقاطها مما لا يأنف الناس من الجهر باستعماله في الكلام[2].

1. رقيّ الدلالة:

---

[1]السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص305

[2]حسان، تمام، اللغة العربية، معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء (د.ت) ص322-323

يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تدل في الأصل على معانٍ وضيعة أو ضعيفة نسبيا أو عادية إلى كلمات تدل في نظر المجتمع على معانٍ أرفع وأشرف أو أقوى، وهو تحول يرتبط بالقيم الاجتماعية، وقد يرتبط بتغيّر المسمى نفسه إلى حالة أرقى مما كان عليه[1]،

مثل كلمة بيت: كانت تطلق لدى العربي على المسكن المصنوع من الشَّعر، وأصبحت الآن تطلق على نوع آخر من البيوت الضخمة المتعددة المساكن، والطوابق[2]، السفرة؛ وتعني قديما طعام المسافر، وهي الآن لها شأن عند الحديث عن الأثاث، وكذلك العفش؛ فكانت تطلق على سقط المتاع، وأصبحت تطلق الآن على جهاز العروسين، وتدل على الأثاث.

وأيضا كلمة باشا الفارسية تعني قدم السلطان في أصلها، وقد حظيت بشأن كبير في مصر وما زالت إلى الآن عند بعض الدول العربية.

2. **انحطاط الدلالة:** وهو عكس الرقي، يعبر عن ضعف دلالة اللفظ في الأذهان، وفقدان مكانتها في المجتمع عندما تستخدم في غير موضعها، فهناك ألفاظ تبدأ حياتها قوية ولها مكانة ومن ثم تتداول بين الناس كثيرا، ويسرفون بها، ويتم استعمالها في مجال أضعف من مجالها الأول، فتنهار القوة في الدلالة، ويصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفا لا تخيف دلالته ولا تفزع لها النفوس[3].

وأكثر الألفاظ التي تدل على الانحطاط الدلالي هي المتعلقة بالنواحي الجنسية، مما يثير مشاعر الخجل، وكذلك الألفاظ المعبرة عن الطبقية والألقاب التي تشير إلى مكانة اجتماعية معينة[4].

---

[1] حمودة، طاهر، دراسة المعنى عند الأصوليين، (د،ت)، الدار الجامعية للطباعة، الاسكندرية، ص191

[2] السعران، محمود، علم اللغة، ص308

[3] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص156

[4] السعران، محمود، علم اللغة، ص306

- **نتائج التطور الدلالي:**

تتمثل نتائج التطور بظواهر لغوية تنتج عن التطورين الصوتي والدلالي؛

1. الترادف:

وهي الأكثر شيوعا، الترادف في اللغة التتابع، وأردفه أي أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه[1].

والترادف في الاصطلاح: هو ماكان معناه واحدا، وأسماؤه كثيرة، وهو أيضا عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد[2]. وهما خلاف المشترك.

فقال السيوطي معرّفا للترادف: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[3]، والترادف التام – رغم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدّدة، وسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد[4].

تتصف العربية بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوّع الدلالات،فلا غرو أن تكون لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة وأغناها في أصول الكلمات الدّوال على معان متشعّبة قديمة وحديثة، وأن نذكر أن اللغات جميعا دون استثناء، تزداد ثروتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حدا لا نهاية له إذا كتب لها من شروط النماء و الحياة و الخلود ما كتب للعربية، فقد أتيح للغة القرآن

---

[1] الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط2، 1979، دار العلم للملايين، بيروت، ردف

[2] الجرجاني: التعريفات، ص199، 56

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، (د.ط،د.ت) الناشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 402/1

[4] عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة العربية، ص309

من الظروف والعوامل ما وسّع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها وتنوّع لهجاتها، فانطوت من هذا كلّه على محصول لغوي لا نظير له في لغات العالم.

فقديما سمّوه أحيانا "بالترادف" وأحيانا أخرى باسم "ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه"، وقد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ وحشد بينها طائفة كبيرة لا تمّت إلى المترادف الحقيقي بصلة، وقد أدّت مبالغة هؤلاء العلماء إلى ظهور طائفة أخرى من العلماء تعارض هذا الاتّجاه وترفض ظاهرة الترادف في العربية رفضا تاما[1]. ويرى سيبويه: وهو من أشهر المثبتين لهذه الظاهرة، بيّن في باب (اللفظ للمعاني): "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالة، وأشباه هذا كثير."[2] فقوله: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق" ينصرف إلى الترادف، ومن أمثلة اللاممسوس اللغوي؛ الكابوس[3]: ضربٌ من الجماع، الكَشْرُ: ضربٌ من النِّكاح، والبُضع الكاشِرُ: ضربٌ منه. ويقال: باضَعَها بُضْعاً كاشِراً، ولا يُشتَقُّ منه فعل[4].

يتحقق المعنى المتعدد في صورتين اثنتين: فقد يرتبط عدد من الألفاظ بمدلول واحد، أو العكس، أي قد يكون الارتباط بين مدلولات عدة ولفظ واحد.

والمصطلح المألوف الذي يطلق على الحالة الأولى هو الترادف " synonymy " أي تعدد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد، وإن كان معظم اللغويين ينكرون وجود مثل هذا الترادف، وإذا ما حدث هذا فعلاً " فسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث

---

[1] المصدر السابق، ص310-311

[2] سيبويه: الكتاب، 24/1

[3]ابن منظور، لسان العرب، كبس

[4]نفسه، كشر

يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد"[1].

ومذهب ابن فارس هو أن يسمّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام[2]، وكما جاء في الفاظ الزواج وتسمياته، ومنها؛ عَزَرَ المرأة عَزْراً: نَكَحَها[3]، العَزْطُ: كأنه مقلوب عن الطَّعْز، وهو النِّكاح، العَزْلَبَة: النِّكاح.

عَسَلَ المرأة: عَسَلَ المرأة يَعْسِلُها عَسْلاً: نَكَحَها. فإمّا أن تكون مُشْتَقَّة من قوله حتى تذوقي عَسيلَتَهُ ويذوق عَسيلَتك، وإمّا أن تكون لفظة مُرْتَجلة على حِدة، قال ابن سيده: وعندي أنها مُشْتَقَّة[4].

ويرى الدكتور محمد المبارك أن أهم سبب لوجود مثل هذا الترادف في اللغات جميعاً يتعلق بطبيعة النظر إلى المدلول، فقد يبدو أن للشيء وجوهاً وصفات كثيرة، ويمكن أن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات، من ذلك تسمية الدار منزلاً ومسكناً وبيتاً نسبة إلى الاستدارة والنزول، والسكن، والمبيت[5].

ويبدو أن ما ذكره المبارك يستند إلى واحد من آراء اللغويين العرب القدامى الذين أنكروا الترادف. فقد ذهب هؤلاء إلى أن ما يظن من المترادفات هو من المتباينات بالنظر إلى الصفات، وضربوا مثلاً على ذلك قولهم: إنسان وبشر، فالأولى باعتبار النسيان أو الإيناس، والثاني وضع على أنه بادي البشرة[6].

---

[1] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص120

[2]ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، (د.ط) 1964، ص65

[3]ابن منظور، لسان العرب، عزر

[4]ابن منظور، لسان العرب، عسل

[5]المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، ص200

[6]قدور، أحمد، المدخل إلى فقه اللغة، ص208

وهو مدلول واحد لألفاظ عدة، وهي ألفاظ متعددة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق، والترادف نوع من الكماليات التي لايستطيع اللغة أن تجود بها بسهولة وبيسر، ومنها السيف– الحسام، الجلوس – القعود.

" إنَّ معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات، وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد، أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها"[1].

إنَّ الاحتكاك اللغوي بين اللغات نتيجة لظروف مختلفة، فتتأثر تلك اللغات وتؤثر فيها، من حيث احتكاك اللغة باللهجة المحيطة بها، أو احتكاك اللغة باللغات المجاورة لها كالفارسية والرومية والحبشية.

ويرى عودة أبو عودة أن الألفاظ المترادفة في اللغة الواحدة لابد أن يحدث بينها نوع من صراع البقاء، فتزدهر ألفاظ وتموت أخرى حتى تصبح نسيا منسيا مع مرور الأيام[2].

2.المشترك اللفظي:

يشكل التغير الدلالي غير المقصود سببا من أسباب الاشتراك اللفظي، فقد يحدث لسبب أو لآخر أن تكتسب كلمة ما دلالة جديدة، وتبقى دلالتها الأولى مستعملة، فيحدث الاشتراك بين الدلالتين، فمثلا كلمة: العين تشير دلالتها المعجمية إلى العين الباصرة، وتستعمل بمعنى عين الماء أو الجاسوس، ويذكر القدماء دلالات كثيرة[3] .

لغة: من الفعل اشترك يشترك والمصدر اشتراك، والمشترك اسم مفعول.

---

[1]أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص97–98، ويقول هي ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها في أي سياق.

[2]أبو عودة، عودة، التطور الدلالي، ص58

[3]السيوطي: المزهر في علوم اللغة، 372/1–375

اصطلاحا: عُرف بعدة تعريفات؛ فيقول الجرجاني: المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير[1]، وعن السيوطي فيقول وحدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[2]، فهو ما اتحدّ لفظه واختلف معناه.

الاختلاف في المشترك اللفظي:

قال السيوطي: واختلف الناس فيه؛ فالكثيرون على أنه ممكن الوقوع، لجواز أن يقع إما من واضعين، بأنه يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وهذا على أن اللغات غير توقيفية.

وقد أجمع علماء اللغة قديما على وجود المشترك اللفظي، فيقول سيبويه:" اعلم أنَّ من كلامهم اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[3]، ويقول ابن فارس في باب (أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق)، يكون ذلك على وجوه ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا عين الماء وعين المال، وعين الركيّة وعين الميزان[4] .

وعلى عكس هذا ما جاء عند ابن درستويه في شرح الفصيح وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها: "هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أنَّ من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه لأن سيبويه ذكر في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة، فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة وإنّما هذه المعاني كلها شيء واحد وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا ولكن فرقوا بين المصادر"[5].

---

[1] الجرجاني: التعريفات، ص215

[2] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، 369/1

[3] سيبويه: الكتاب، 7/1

[4] ابن فارس: الصاحبي، ص201

[5] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، 384/1

وقد أدت كثرة المشترك اللفظي على هذا النحو في العربية إلى استغلاله فنيا فذاعت في الأدب العربي ظاهرة التورية، وهي استخدام الألفاظ المشتركة في معانٍ غير واردة فيها، ولذلك استخدمه بعض الناس حيلة للخروج من اليمين المكره عليها[1].

ومن رأي المحدثين في ذلك رأي إبراهيم أنيس فقال: "إنَّ ابن درستويه كان محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي، واعتبرها من المجاز، فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال لايصح إذن أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل الاستعمالات[2].

ويرى أولمان أن هناك طريقين رئيسيين تتبعهما الكلمات لاكتساب معانيها المتعددة:

1. التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ثم شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكرارا ملحوظا، ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على مايريدون التعبير عنه، فليس وأنت في مستشفى أن تقول بأن العملية هي عملية جراحية وليست عملية استراتيجية، أو صفقة أو...
2. وطريق أقصر من ذلك ويؤدي إلى نفس النتيجة وهو الاستعمال المجازي أو نقل المعنى[3].

وهو عند المحدثين؛ يتمثل في:

1. وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية، أو هامشية.
2. تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة.
3. دلالة الكلمة الواحدة على اكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى.

---

[1] عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ص293

[2] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص214

[3] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص117-118

4. وجود كلمتين يدل كل منهما على معنى، وقد تحدث صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق.

وهذا عند أولمان سماه للمشترك اللفظي بتغييرات في الاستعمال، أو جوانب متعددة للمعنى الواحد، وقد ضرب مثلا لذلك كلمة Wall(حائط) التي تتنوع مدلولاتها بحسب مادتها(حجر، طوب)، ووظيفتها(حائط منزل، أو بوابة)، وبحسب خلفية المستعمل، واهتمامه _بنّاء، عالم آثار، مؤرخ)، ولكن هذه الظلال أو الاستعمالات المختلفة ينظر إليها على انها في مظاهر متلاصقة أو متقاربة لكل متحد متلاحم[1].

ويرى إبراهيم أنيس أن المشترك اللفظي الحقيقي تكون حين لا نلمح أي صلة بين المعنيين، وكأن يقال لنا مثلا: إن الخال هو أخ الأم، وهو الشامة في الوجه[2].

والضرب الآخر من تعدد المعنى هو المشترك اللفظي "Homonymy "، وهو اتفاق في اللفظ مشافهة، أو في الكتابة، أو في كليهما معاً، وهو أكثر ما ينجم نتيجة الاقتراض من اللغات، أو التطور الصوتي؛ ففي الفرنسية مثلاً تلفظ الكلمات التالية لفظاً واحداً: " verre " كأس و "ver" نحو و " vert " دودة.

أما الاتفاق في الصيغة مع تعدد الأصول التي تلاقت فيمثل له أولمان بكلمة " sound " الإنكليزية التي هي في الحقيقة أربع كلمات اتحدت في صيغة واحدة: فهي " صحيح البدن " في الجرمانية القديمة، و " الصوت " في الفرنسية التي ترجع إلى " son " وإضافة " d " نتيجة تطور صوتي، وهي بمعنى "سبر الغور"امتداد للفعل الفرنسي " sonder "، وربما تكون هناك

---

[1] أولمان، دور الكلمة، ص185-187

[2] أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص213-214

علاقة تاريخية بين هذه الكلمة الفرنسية وبين كلمة " sound " الرابعة التي تعني " مضيق الماء " في لغات جرمانية متعددة[1].

3. الأضداد:

لغة: أصلها ضدد، وضد الشيء وخلافه، والجمع أضداد، وقد ضادّه فهما متضادان، والتضاد مصدر[2].

اصطلاحا:وهو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، وعلى المفهوم القديم فهو يعني اللفظ المستعمل في معنيين متضادين.

ولم تنل هذه الظاهرة الكثير من الاهتمام والدراسة وكانت تقتصر على بعض الالتفاتات ومن ذلك ما قاله أولمان في كتابه" دور الكلمة في اللغة": فمن المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا لجنب لقرون طويلة بدون إحداث أي ازعاج أو مضايقة، فمثلا كلمة attus: تعني مرتفع أو منخفض، ويرجع هذا إلى الادراك النسبي للمدى، وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم، وكذلك كلمة sacer فتعني مقدس أو ملعون[3].

وهي تدل على قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصية من الخواص الأساسية للكلام الإنساني، وهذه الظاهرة منتشرة بكثرة في اللغة، وهي مدلولات عدة للكلمة الواحدة.

والتضاد باب معروف مشهور في اللغة العربية ومن أمثلته الجون ويطلق على الأبيض والأسود، والتضاد عند أولمان جعله من باب تعدد المعنى، في حين يرى كمال بشر أن التضاد نوع من المشترك اللفظي وكل منهما لا يتحقق إلا في كلمتين فأكثر لا في الكلمة الواحدة[4].

---

[1] أولمان: دور اللكلمة في اللغة، ص247

[2] ابن منظور: لسان العرب، ضدد

[3] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص119–120

[4] المصدر السابق، ص118، وهامش 82

ويرى إبراهيم أنيس أن الكلمات التي تسمى بالأضداد لا يمكن اعتبارها من المشترك وهذا نوع من الإقحام لما بينها من صلة الضدية، وهي صلة وثيقة في الدلالات فنحن لا نذكر الأبيض إلا ومعه الأسود، وكذلك الغبي مع الذكي[1].

فهذه الكلمة تدل على المخالف، وتدل على النظير، وهذه الظاهرة ملحوظة في أكثر اللغات، فكان أكثر اللغويين يعبرون عن أن الكلمة المعبرة من المعنى وضده سُبق استعمالها في الأغلب للدلالة على أحد المعنيين، ثم استعملت للدلالة على المعنى الآخر في عصر تالٍ، وهكذا تصاحب الاستعمالان[2].

وهناك من ينكر هذه الظاهرة ومنهم من يثبتها، فقد قال ابن الأنباري: إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها مايدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر[3].

وبمثل ذلك يحدث التضاد " Antonymy " أحياناً، فكلمة " جون " التي تطلق في العربية على الأبيض والأسود، أصلها في اللغات الفارسية والعبرية والسريانية على مطلق اللون سواء أكان أبيض أم أسود، فحين نقلت إلى العربية استعملت بمعنى اللون الأبيض وبمعنى اللون الأسود[4]، ومثلها " جلل " التي أخذت من العبرية فصارت إلى عظيم وحقير كما استعملت في أصلها.

يبدو مما تقدم أن التطور اللغوي هو الذي سمح بهذا التعدد في المعنى من خلال تعدد الاستعمال وتنوع السياقات، لذلك لا بد من [illegible] ـلى أشكال هذا التغير وأسبابه.

---

[1] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص215

[2] السعران، محمود ، علم اللغة، ص286

[3] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الأضداد في اللغة، 1900، المطبعة الحسينية، القاهرة، ص2

[4] عمر، أحمد مختار، دلالة الألفاظ، ص204 ومابعدها وبخاصة نشأة الأضداد

الفصل الثالث
التَّلطف في العربية مثال من اللاممسوس اللغوي

- التلطف مفهومه، ودوافعه، وأساليبه
- اللاممسوس اللغوي
- عوامل اللاممسوس اللغوي
- المجالات الدلالية للاممسوس

المبحث الأول
التّلطف، مفهومه، ودوافعه، وأساليبه

تُعبرُ العربُ عن الأفعال التي تُسْتر عن العيون وتتأذّى منها النفوس بألفاظٍ تدل عليها غير موضوعةٍ لها، تنزهاً عن إيرادها على جهتها وتَحَرُّزاً عمّا وُضِع لأجلها إذ الحاجة إلى ستر أقوالهم كالحاجة إلى سترِ أفعالهم فيتحرزون عن التصريح بالتعريض فيكنّون عن لفظه، إكراماً لأنفسهم عن التلفظ به[1]، فقالوا: "فلان لا يحسن التعريض إلا ثلبا"[2]. ومن

[1] الجرجاني،أبو العباس أحمد بن محمد، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ط1، 1984، دار الكتب العلمية، بيروت، ص5

[2] الثعالبي، أبو منصور إسماعيل، النهاية في الكناية الكناية والتعريض،تحقيق: فرج الحوار، (د.ط،د.ت)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص75

ذلك فيالقرآنالكريممناالتَّلَطُففيالأسلوبمايدلُّعلىكريمالعبـاراتونبيلالألفاظ،مننحوقولهتعالى: {نِسَاؤُكُمْحَرْثٌلَكُمْفَأْتُواحَرثَكُمْأَنَّىشِئتُمْ}[1]، وقولهتعالى :{ أَوْلاَمَسْتُمُالنِّساء }[2]، وقولِهِ :{وَقَدْأَفْضَىبَعْضُكُمْإِلَىبَعْضٍ}[3]، وقولِهِ :{ أُحِلَّلَكُمْلَيْلَةَالصِّيَامِالرَّفَثُإِلَىنِسَائِكُمْ }[4]، وقوله: {فَتَحْرِيْرُرَقَبَةٍمِنْقَبْلِأَنْيَتَمَاسا }[5]، وهنا نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى تنزَّه عن التصريح بالألفاظ، وقد كنّى الله سبحانه وتعالى عن العلاقة الجنسية بالحرث، والرَّفث، والملامسة، والإفضاء وغيرها من الألفاظ، وقوله تعالى: { كانا يأكلان الطعام} دليل أكيد أيضا على الكناية والتَّلطف في القول، فهو يدل على ملازمة الأكل وهو الحدث.

ونسمع دائما عبارة "حسِّنْ ملافظك" فهي تدل على أن الكلمات غير مهذبة، فلا بدّ من تهذيبها، والتَّلطف بها؛ لذا فما معنى أن نحسن ألفاظنا، وما معنى أن يكون الكلام لطيفا؟.

<u>مفهوم التَّلطف: لغة</u>

التَّلَطُففياللغةمنمادةِ (لطف) والمادةُكمايربابنُفارستدورُحولمعنىًعامٍواحدٍهوالترفقُ[6]، وهو الذي اجتمع له الرِّفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها إلى من قدّرها له، يقال: لطف به وله، بالفتح، يُلْطُف لُطفا إذا رَفق به[7].

---

[1] البقرة: 223
[2] النساء: 4
[3] النساء: 21
[4] البقرة: 187
[5] المجادلة: 58
[6] ابن فارس، مقاييس اللغة، لطف
[7] ابن منظور، لسان العرب، لطف

وفيالتهذيبللأزهريّ:اللطيف هو :الذييُوصِلإليكأَربكفيرفق، واللطيفمنالكلامما غَمُضَمعناهوخفي[1]، وفيالقرآن الكريم لفظة التَّلَطُففيقولهتعالى: {فَلْيَأْتِكُمْبِرِزْقٍمِنْهُوَلْيَتَلَطَّفْ}[2]، وهنا تدل على الترفق في الحصول على الشيء.

اصطلاحا:

التَّلطُّف هو أن يذكر ذات أحد المتضايفين مجردة عن الإضافة للمتضايف الآخر"3، فقدعُرِففيالدراساتالغربيةالحديثةبمصطلحيونانيتُعنيالدلالةُالحرفيةُلهالكلامالحسن، أو تحسين اللفظ[4]، و "حسنُالتعبير"[5] وأيضا لطف التعبير[6].

وقدعرّفهأولمانبأنه: وسيلةمقنعةبارعةٌلتلطيفِالكلامِوتخفيفِوقعه[7]، وعرّفهأحمدمختاربأنه: إبدالالكلمةِالحادةِبكلمةٍأقلحِدّةٍأوأكثرَّقبولاً[8]،

ومنأمثلةذلكمايُروىمنأنَّالخليفةَالمنصورَكانفيبستانٍومعهالربيع،فقالله: ماهذهالشجرةُ؟قالالربيع: شجرةُالوِفاقياأميرالمؤمنين،وكاناسمتلكالشجرةِشجرةَالخلافِ،فتفاءلَالمنصورُبذلكوعَجِبَمنذكائه[9].

وهذاالأسلوبُ

يعدّالوجهَالمشرقلظاهرةِاللاممسوسأوالمحظوراتِاللغوية،إذيريبعضعلماءاللغةالمحدثينأنَّاستبدالالكلماتِاللطيفةِالخاليةمِنأيّمغزىسيءٍأومخيفٍبكلماتاللاممسوسأوالمحظوراتاللغويةيُعَدُّضرباًمنضروبالتَّلَطُفأوحسنالتعبيرأوتحسيناللفظ، ومتى يتَّلطف الفرد، وما هي الحاجة إلى وجود هذه الظاهرة؟

---

[1]الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي(282–370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، 1964، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مادة لطف، للمزيد ينظر: الراجحي، علي بن عبدالعزيز، التلطف في الأساليب العربية، 2011، http://www.shamela.ws

[2]الكهف: 19

[3]الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، باب التاء

[4]حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، ص17

[5]أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص196

[6]الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ص88

[7]أولمان، استيفن، دور الكلمة، ص196

[8]عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص240

[9]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص71

ويتَّلطف الفرد في موقفين[1]: أحدهما: موقف فردي خاص، وقد لا يتأتى لكل أفراد المجتمع، وذلك حسب الفطنة والذكاء، فقد رُويعنبنتأعرابيصرختصرخةعظيمة،فقاللهاأبوها: مالك؟قالتلدغنيعقرب،قاللهاأين؟قالت:

فيالموضعالذيلايضعفيهالراقىأنفه،وكانتاللدغةفيإحدىسوأتيها[2]،فتنزهتبذكرهاعنلفظها،

ومنذلكمارُويعنالخليفةالمأمونأنهكانبيدهمساويك،فسألالحسنَبنَسهلٍماهذه؟فقال:

ضدُّمحاسنكياأميرَالمؤمنين،وكرهأنيقولَمساويك[3].

والآخر موقف جماعي يتصل بالمجتمع، فالفرد ليس منقطعا عن العالم الخارجي، فهو متداخل ومتناغم معا، ويتعلق هذا الأمر بالتواضع الاجتماعي بين الجماعة اللغوية، وما تعارف عليه بينهما،

وذلكينطبقعلىجُلِّالدوافعالتيتعودإلىالحياةالاجتماعيةكالكياسةوالتأدبوالخوفِوالتطيرِوالتفاؤلِوالتشاؤمِ،ونحوهامنالدوافعالتيتلجأالجماعةاللغويةُإلىالتَّلَطُفبشأنهابعباراتٍكريمةٍوألفاظٍنبيلةٍ،وقدقلناسابقاإنَّالعربَمثلاًيعيبونعلىالرجلإذاكانيكاشفُويصرّحُفيماحَقُّهُالسترُوالتحرزُوالأدبُ، كما جاء في قول الثعالبي:" فلان لا يحسن القول إلا ثلبا"[4]، ولكنَّالحالةَالاجتماعيةتختلفُمنأمّةٍإلىأمة،ومنبيئةإلىبيئة،ومنجيلٍإلىجيلٍ،فلعلَّمايدعوإلىالتَّلَطُفعندأمّةٍلايدعوإليهعندأمّةٍأخرى.

فوائد التَّلَطف:

للتَّلَطف فوائد كثيرة منها ما جاء عند الجرجانيٌّفيكتاب المنتخب من كنايات الأدباء: "فمنفوائدهاالتحرّزُعنذكرِالفواحشِالسخيفةبالكناياتاللطيفة،وإبدالمايَفْحُشُذِكْرُهفيالأسماع،بمالاتنبوعنهالطبا

---

[1]انظر، الراجحي، علي بن عبد العزيز، التّلطف في الأساليب العربية، 2011، http://www.shamela.ws

[2]الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء، ص10

[3]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص71

[4]تعني النقد وعدّ النقائص

عُ،ومنهاتركُاللفظِالمتطيَّربهإلىما هوأجملُمنه ...

ومنهاالأمورُالجاريةُبينالبلغاءِوالأدباءِومداعباتهمبمعاريضَلايفطنلهاإلاالبلغاءُ ...

ومنهاالتوسعُفياللغاتِ،والتفنُنُفيالألفاظِوالعبارات"[1]، وقد اقتصر الجرجاني في كتابه فقط على العلاقات بين الرجل والمرأة، ولم يلتفت إلى ذكر اللاممسوس اللغوي عنده إلا ضمن هذا الإطار، وقد يعود هذا الأمر إلى أن اللاممسوس اللغوي يكثر في هذا الباب، وفي الأبواب الأخرى قليل، وقد يكون البديل اللفظي عاجزا عن إيصال المعنى الحقيقي.

يقول الثعالبي: ليس هناك أجمل ولا أحسن من كناية القرآن الكريم في باب العلاقة بين الرجل والمرأة، وقولهفيالكنايةعنطالبذلكحكايةً عنيوسفَعليهالسلام: { هِيَرَاوَدَتْنِيعَنْنَفْسِي}[2]، وقوله تعالى: { وَقَدْأَفْضَىبَعْضُكُمْإِلَىبَعْضٍ }[3].

في حين نجدالثعالبيَّيضيفُأبواباًجديدةتتعلقببعضالعاداتِوالعقائدِالعربيةِ؛كالتفاؤلِ،والتشاؤمِ،والعيوبالخَلْقيةِوالخُلُقيةِو مايتصلبها، يقول: "العربُتكنيعنالمرأةبالنعجةوالشاةِوالقلوصوالسرحةوالحرثِوالفراشِوالعتبةِوالقارورةِ... وبكلهاجاءتالأخبارُونطقتالأشعارُ"[4].

دوافع التّلطف:

يرىأولمان" أنّدوافعالتَّلَطُف هي دوافعٌنفسيّةٌ،وأنَّالمتكلميعمدإلىاستعمالِهذاالأسلوبِمعكلِّشيءٍمقدسٍأو

[1] الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء، ص4-5

[2] يوسف: 26

[3] النساء:21

[4] الثعالبي، الكناية والتعريض، ص50

ذيخطرٍ ،أومثيرٍللرعبوالخوفِ،كمايطبقهعلىالأشياءِالشائنةِ،أوغيرِالمقبولةِلدىالنفس"[1]؛ لذا سُميَّ حسن التعبير، فالدافع تحسين اللفظ تعبيرا عما في النفس من راحة في حالة الإرسال والاستقبال.

فيُجْمِلبعضُاللغويينالمعاصرينهذهالدوافعَفيثلاثةٍهي:

الخوفُوالفزعُ،والكياسةُوالتأدبُ،والخجلُوالاحتشامُ[2]؛ فالخجل والاحتشام هذا الدافع خاص بباب العورات، وأعضاء الجسد، والعلاقات بين الرجل والمرأة (العلاقات الجنسية)، فيكون التأدّب بالاحتشام، والنفس تخجل من ذكر العورات بالعبارات المكشوفة.

والمعاجم اللغوية ملأى بأسماء النكاح، وأعضاء الجسد، وحالات العلاقات بين الرجل والمرأة، يقول الجرجاني:

"واعلمأنَّالأصلَفيالكناياتِعبارةُالإنسانِعنالأفعالِالتيتُسترعنالعيونِعادةًمننحوقضاءِالحاجةِوالجماعِ،بألفاظِتدلعليهاغيرموضوعةٍلها،تنزهاعنإيرادهاعلىجهتهاوتحرزاًعمّاوُضِعَلأجلها،إذالحاجةُإلىسَتْرِأقوالِهاكالحاجةِإلىسترِأفعالِها،فالكنايةُعنهاحِرْزٌلمعانيها[3]، ومن ذلك بكَّالرجلَالمرأةَيبكهابكّا،وهكهايهكهاهكا[4]، البُضْع والبِضَاع[5]: البُضْع: النِّكاح عن ابن السكيت. والمُبَاضَعة: المُجامَعَة، وهي البِضاع. وفي المثل: كمعلِّمة أُمِّها البِضاع. ويقال: ملك فلان بُضْعَ فلانة إذا ملك عُقْدَةَ نِكاحِها، وهو كناية عن موضع الغِشْيان، وابْتَضَع فلان وبَضَع إذا تَزَوَّجَ، وقولهم: طفزهاوطعسهاوطخزهاوطحسهاودعزهاودعسها[6]، وهي تدل على النكاح.

والخوف والفزع، من التفاؤل والتشاؤم، والتطيّر أيضا، وهذا يدل على الضعف الإنساني، وخاصة أنَّ الإنسان يُبعد الخوف والفزع من الموت بأسماء بديلة، ويطبّق ذلك على المرض

---

[1] أولمان، دور الكلمة، ص196

[2] حسام الدين، كريم، المحظورات اللغوية، ص51

[3] الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء، ص5-6

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة بكك، وهكك

[5] ابن منظور، لسان العرب، مادة بضع

[6] حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، ص62

والصفات الخُلُقية، فنحن الآن نقول عن مرض السرطان المرض الخبيث، وعن المعاقين إنهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، على سبيل التّلطف، وسرُّالتَّلَطُّففيهذاالمجالِهوماستقرفيأذهانِالناسِمنذالقدمِمنالربطبيناللفظِومدلولِهِربطاًوثيقاًحتىإنّهيُعتقدُأنّمجردَذكرِالموتِيستحضرُالموتِ،وأنّالنطقبلفظِالحيةِيدعوهامنجُحرهافتنهشُمنناداهاأوذكرَاسمَهَا[1]، وأحيانا الابتعاد عن ذكر بعض المواقف أو الأمور خشية تذكر مأساة معينة.

وأساليب التَّلطف كثيرة ومتشعبة، منها أسلوب الحذف، والتورية، والتقديم والتأخير، والإضمار، والبناء للمجهول، وسنتحدث عن بعض الأساليب لكثرتها، وسيتم البحث فقط في ظاهرة اللاممسوس اللغوي، أنموذجا تطبيقيا.

من أساليب التَّلطف:

1. <u>**أسلوب التقديم والتأخير:**</u>

هو ظاهرة لغوية، وتدل على أن اللغة العربية متطورة، فلولا وجودها لكانت اللغة جامدة، ولفقدت حريتها في التعبير، وهي ظاهرة عامة تقع عليها في كثر من نظام الجملة العربية.

وهو مظهرٌ من مظاهر شجاعة العربيَّة؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادًا على قرائن أخرى، ووصولاً بالعبارة إلى دلالاتٍ وفوائد تجعلها عبارةً راقيةً ذات رونقٍ وجمال[2].

فالقيمة البيانيَّة للتقديم والتأخير مرتبطةٌ بالجائز منه، ومرهونةٌ بحسن استعماله على وفق مقتضى الحال، والوعي باستعماله في موضعه، وإلاَّ كان عبثًا لا قيمة له ولا فائدة بل ربَّما يؤدِّي إلى إفساد المعنى، فلا يرتبط فقط بالإعراب، وإنما له تأثير على المعنى، فمثلا هناك فرق في المعنى بين (محمد جاء، وجاء محمد) ففي الجملة الأولى كان التنبيه إلى أنَّ الذي جاء هو

---

[1]أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص144

[2]ينظر ابن جني: الخصائص

محمد وليس غيره، فالتقديم هنا للأهمية، أما الجملة الثانية فهي إخبار عن مجيئه إخبارا لا يخالطه شيء.

والأغراض الَّتي تتفتَّق عنها ظاهرة التقديم تبيِّن ثراءها وكثرة فوائدها، وكونها منبعًا ثرًّا لرقيِّ الأساليب وارتفاعها في البيان، فلا عجب حين نرى احتفاء الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذه الظاهرة في قوله عن بابها: هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعُه، ويَلطُف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظ من مكان إلى مكان، نحو: قائم هو، فيكون السؤال مثلا؛ زيد قائم أم قاعد، فتكون الإجابة، قائمٌ هو، وهنا يريد أن يخصص[1].

يقول أحمد مطلوب[2] في فضل هذه الظاهرة؛ إنّ كل شيء يخالف العادة هو أكثر تأثيرا في الفهم من المألوف، بمخالفة الترتيب العادي، وإنَّ أوّل كلمة في الجملة هي على العموم المضغوطة في اللغة العربية إذا صرفنا نظرنا عمّا نبتدئ به الجملة في الأدوات كإنّ وأخواتها إلى غير ذلك، وقد يكون آخر الجملة أشد ضغطا من أولها، وذلك إذا قدمت كلمة (إنّما) فهي تغير نظام الجملة وتنقل أقوى الضغط إلى آخرها، مثال: قوله تعالى{إنّما بَغيكم على أنفسكم}[3].

ويعد التقديم والتأخير من باب التخاطب التواصلي، فنحن نقوم بهذه الظاهرة حسب الرتب الكلامية، وأهمية القول، وأين نريد أن يقع التأثير على السامع، أو المتلقي، يقتضيها الموقف أو السِّياق.

---

[1]الجُرجاني، عبد القاهر(ت471 أو 474هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط5، 2004، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص135

[2]مطلوب، أحمد، بحوث لغوية، دار الفكر، 1987، عمان، ص44

[3]يونس: 23

فعن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إنَّ من أشرِّ الناسِ عند الله منزلةً يوم القيامة الرَّجلَ يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها[1]، وتم تقديم خبر (إنَّ) من أشرِّ الناس على اسمها (الرجلَ) حتى يفزع المتلقي من فظاعة هذا الفعل.

إنّ أنماط الجمل التي ترد في الخطاب وترتيبها يتعلقان تعلّقا كبيرا بالأحوال التي يستعمل فيها الخطاب[2].

2. أسلوب الحذف:

الحذففي اللغة العربية "دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد في الإفادة" [3]، ولا يكون الحذف اعتباطا، بل الأصل في المحذوفات جميعها أن يكون في الكلام ما يدل عليها من قرائن دلالية كأن تكون تلك القرائن سياقية لفظية أو عقلية[4].

ويأتي الحذف حسب الحاجة السياقية، فيكون الحذف تلطفا بالمحذوف إما استكراها له، أو صونا له من الابتذال، أو تحقيرا من شأنه، أو خوفا منه أو عليه.

قال تعالى:{ يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتكَ فاتَّبعني أهدكَ صراطا سويًّا}[5]، والحذف جملة جواب الشرط، وهي فإن تتبعني أهدك، وقوله تعالى:{ قلْ إنْ كنتم تحبّون الله فاتَّبعوني يُحببكم الله}[6]، أي فإن تتبعوني يحببكم الله، ويكون الحذف توخيا للإيجاز، وهذا الضرب كثر في القرآن الكريم وكلام العرب.

---

[1]مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، ص389

[2]سابير، إدوارد، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغانمي، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص70

[3]الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص131

[4]محمد، يونس حمش خلف، الحذف في اللغة العربية، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، مج 10، ع2، 2010، ص273

[5]مريم: 43

[6]عمران: 31

كذلك في حذف جواب القسم، وهي مليئة في القرآن الكريم، نحو، قوله تعالى:{ والفجر، وليال عشر، والشَّفع والوتر، والليل إذا يسر، هل في ذلك قسم لذي حِجر}[1]، ويقدر الجواب تقديرا، فالحذف من البلاغة في التعبير ما لا يتحقق عن ذكر جواب القسم، كما في قوله تعالى:{ والنازعات غرقا، والنَّاشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا}[2].

المبحث الثاني
اللاممسوس اللغوي

يعد هذا الحقل منطقة مهجورة،على الرغم من وجودها في تراثنا العربي بكثرة، ولم يحظَ هذا الضرب من البحث بدراسة مستوفاة،فارتأيت تناول اللاممسوس اللغوي بالدرس والنظر. واللاممسوس اللغوي تسمية رأيتها للتعبير عن المحظورات اللغوية أو ما يستكره ذكره، أو ما لا ينبغي ذكره، وسأحاول تتبع بداية نشوء هذه الظاهرة، وذكر أبرز المصنفين في هذا الباب، أمثال

[1] الفجر: 1-5

[2] النازعات: 1-5،ينظر للمزيد، محمد، يونس حمش خلف، الحذف في اللغة العربية، ص283

الفيروز أبادي، والسيوطي، والنفزاوي، وأعرض لبعض الألفاظ المبثوثة في المعاجم العربية، وأبحث كيف انتقلت هذه الألفاظ من دائرة الألفاظ المعتادة إلى الحظر اللغوي؟

كما أنَّ هناك كلمات لا ممسوسة هناك كلمات محسنة لفظيا ومباحة لغويا، وسنرى أنَّ الكناية_ كما جاء عند الثعالبي بكتابه الكناية والتعريض_ من أبواب المحسن؛ خشية الوقوع في اللاممسوس اللغوي.

ويعد كريم زكي حسام الدين من أوائل اللغويين المحدثين الذين عنوا بدراسة المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، فكان كتابه" المحظورات اللغوية" هذا الموضوع في العصر الحديث،وقد استعمل مصطلحي المحظور اللغوي، وتحسين اللفظ والمحسن للتعبير عن مفهوم المحسن اللفظي.

يقع كتاب "المحظورات اللغوية" لكريم حسام الدين[1] في بابين، في كل باب أربعة فصول، في الباب الأول حديث عن مفهوم ظاهرة" المحظورات اللغوية" بشقيها الكلمات المحظورة، والمحسنة من خلال الجوانب الاجتماعية واللغوية لدى الجماعة اللغوية الأولى، ويعرض المفهوم، ويعالج المحظور من الأشياء والأفعال، وفي الباب الثاني تناول المجالات الدلالية للمحظور والمحسن من الألفاظ في ضوء كتابَي الكناية للثعالبي، والمنتخب للجرجاني.

والدراسة الثانية هي رسالة دكتوراة أعدها عصام الدين أبو زلال[2] بحث فيها المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، وكانت في أربعة فصول؛ الفصل الأول عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، وتناول فيه مفهوم المصطلح قديما وحديثا، الفصل الثاني عن المجالات الدلالية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، والفصل الثالث عن العلاقات

---

[1] حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1985

[2] أبو زلال، عصام الدين، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 2001

الدلالية بين المحظورات اللغوية والمحسنات اللفظية في القرآن الكريم، الفصل الرابع عن التغير الدلالي للمحظور اللغوي.

يقول أبو زلال إنّ المصطلحات الدالة على المحظور اللغوي والمحسن اللفظي حسب تتبعه هي عشرون مصطلحا دلت على المحظور اللغوي لدى اللغويين العرب المحدثين، في حين توجد ثمانية عشر مصطلحا تدل على المحسن اللفظي لديهم[1].

وكانت المصطلحات العربية هي عبارة عن ترجمة للمصطلح الغربي، ولم يتفق العلماء اللغويون العرب على تسمية للمصطلح، وتعداه إلى العديد من الترجمات للمصطلح.

1. مفهوم اللامسوس اللغوي قديما:

يرى عصام أبو زلال أن الفرّاء(ت207هـ) أول من أشار إلى المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، وقد جاءت في مطلع القرن الثالث الهجري[1]، فكيف ممكن أن نقول لرجل إنك كاذب لكن بطريقة غير مباشرة؟

---

[1]نفسه: ص55-58

وقد أشار الجاحظ(ت255هـ)للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي بمصطلح الكناية؛ في قوله تعالى: { والذين هم لفروجهم حافظون}[2]، وهي كناية عن العورة، وفي قوله تعالى:{ وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا}[3]، وهنا أدرك الجاحظ تحول المحسن اللفظي إلى لفظ شائع، فالفروج استخدمت بمعنى العورات، وحين انتشر اللفظ تم استبداله بكلمة الجلود بدلا من الفروج.

وألمح المبرَّد (ت 285هـ) في كتابه الكامل، في سياق حديثه عن مصطلح الكناية، إلى المحظور اللغوي، وقد سماه؛ التعمية أو التغطية، والرغبة عن اللفظ الخسيس، والتفخيم والعظيم[4]، والرغبة عن اللفظ الخسيس هنا هو ما يدل على اللاممسوس اللغوي، وقال تعالى: "وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا"[5]، وهنا المقصود بالجلود: الفروج، أو الجوارح أو كل حرام ينتج عن ملامسة الجلود؛ فالكناية هنا هي بديل عن اللاممسوس اللغوي.

يذكر ابن فارس (ت395هـ) مصطلحي الكناية وتحسين اللفظ قائلا:" الكناية لها بابان، أحدهما: أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه؛ تحسيناً للفظ أو غكراما للمذكور، وذلك في قوله تعالى:{ ولكن لا تواعدوهً سِراً}[6] إنه النكاح، وكذلك قوله تعالى:{أو جاء أحد منكم من الغائط}[7]، والغائط: مطمئن من الأرض، كل هذا تحسين اللفظ[8]

---

[1]الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق ومراجعة: محمد علي النجار، (د.ت،د.ط) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 362/2

[2]المؤمنون:5، المعارج:29

[3]فصلت:21

[4]المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1686، 855/2

[5]فصلت: 21

[6]البقرة:235

[7]النساء:43

[8]ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، (د.ط،د.ت)، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر ص439

عقد الثعالبي(ت429هـ) ، فصلا في فقه اللغة وسر العربية في " الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه" وهو يقصد بمصطلح ما يستقبح ذكره، المحظور اللغوي ويقصد بمصطلح مايستحسن لفظه، المحسن اللفظي لكنه لم يكتفِ بهذا الطرح لذا خصص كتابا عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي بعنوان " الكناية والتعريض"، والثعالبي يعرف الكناية بأنها تحسين القبيح[1].

يقول الثعالبي في عرض كتابه "الكناية والتعريض": هذا الكتاب خفيف الحجم، ثقيل الوزن، صغير الجرم، كبير الغنم، في الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره، أو يستحيا من تسميته، أو يتطير منه، أو يسترفع ويصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى، وتفصح عن المغزى، وتحسن القبيح، وتلطف الكثيف، وتكسو المعرض الأنيق، فيحصل المراد، ويلوح النجاح مع العدول عما ينبو عنه السّمع، ولا يأنس به الطبع إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه، من كلام تأذن له الأذن، ولا يحجبه القلب، وما ذلك إلا من البيان في النفوس وخصائص البلاغة"[2]، وهنا أظهر الثعالبي المعنى من الكناية وأسباب اللاممسوس، وما يستقبح ذكره ويستحسن، فيقول: "إنَّ العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه، فيقولون: فلان لا يحسن التعريض إلا ثلبا"[3].

فالكناية من فنون البلاغة، ويقصد بها: أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكنَّى عن الأمر بغيره يُكنَّى كنايةً، وتكنَّى: تستّر من كنّى إذا ورّى أو من الكنية[4].

---

[1]الثعالبي: الكناية والتعريض، ص74

[2]نفسه، ص10

[3]الكناية والتعريض:ص56-57

[4]مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.ط، 2007، مكتبة لبنان، بيروت، ص69

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن المتكلِّم يستعمل الكناية في خطابه؛ لتحقيق مقاصده دون أن يصرِّح بها مباشرة، بل يعمد إلى الصور الفنية ليُكسِب كلامه حسنا وجمالا، وليكون كثر تأثيرا في النفوس[1].

فالكناية تساعد في تقوية المعنى، وتثبيته لدى المخاطب والتأثير فيه، لكنها تستخدم أيضا بوصفها أسلوبا من أساليب التلطف في اللغة العربية، فقد ذكر ابن فارسٍ أنّ المتكلِّم يكني عن الشيء تحسينا للفظ أو تكريما للمذكور فمثلا في قوله تعالى:" كانا يأكلان الطعام"[2] كناية عما لا بدّ لآكل الطعام منه[3]. وتستخدم هنا للتلطيف والتحسين.

وتناولالجرجاني(ت482هـ) المحظوراللغوي والمحسن اللفظي بالدراسة في كتابه:"المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء"، وهو دراسة عن المجالات الدلالية للمحظور اللغوي والمحسن اللفظي في اللغة العربية لدى الأدباء والبلغاء بشكل خاص، وقد استعمل الجرجاني ثلاثة مصطلحات للدلالة على المحسن اللفظي؛ مصطلح الكناية؛ فقال: اعلم أن الأصل في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تُستر من العيوب عادة، من نحو قضاء الحاجة، والجماع، بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها، تنزها عن إيرادها على جهتها، وتحرزا عما وضع لأجلها؛ إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها حرز لمعانيها، فقال تعالى:" لا تواعدوهن سرا"[4]، وكنى عن الجماع بالسر[5].

فقد كنّى الجرجاني عن ذكر الفواحش السخيفة، وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع، لخص الجرجاني أسباب الحظر اللغوي والتحسين اللفظي، وذكر أمثلة عديدة على ذلك.

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، ص306-307

[2] المائدة:75

[3] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، الصاحبي، ص439

[4] البقرة، 235

[5] الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد: المنتخب من كنايات الأدباء، ص5-6

والكناية عند ابن الأثير(ت637هـ) فهي مشتقة من الستر؛ فيقال: كنيت الشيء، إذا سترته، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة، فتكون دالة على الساتر والمستور معا[1]، وقد مثل لذلك بقوله تعالى: { لامستم النساء }[2] حيث ستر الله تعالى الجماع بلفظ اللمس.

وكل ما جاء عند القدماء دلَّ على المحظور اللغوي والمحسن اللفظي والكناية، وأحيانا جاء عندهم في باب اللطف واللطافة، والكياسة، وكان هناك العديد من الأمثلة التي جاءت عندهم وخاصة في القرآن الكريم، وكيف أنَّ هذه اللغة تم سترها من خلال النص المقدس، فكان القرآن مهذبا في ألفاظه واستخداماته، بعيدا عن المستهجن من القول والمستقبح من الذكر، ولم يكن القرآن إلا جميلا بلفظه وسياقه، باثا روح اللطافة والأدب والرقي، فجاء أسلوب القرآن مؤدبا ومهذبا النفس البشرية، فلم يصرح بقول يستقبح ذكره بلفظه الصريح، بل كانت ألفاظه مغلفة بالكناية واللطف.

2. مفهوم اللاممسوس حديثا:

ليس في وسع الفرد الاقتراب من عالم المقدس أو عالم الحظر أو الممنوع من دون أن يستفز قوى السلطة(أي سُلطة)وقد يشعر في خوضه قضايا الممنوع أو اللاممسوسبعجزه عن مقاومتها، لكن كل طموح لا يحظى بمؤازرتها محكوم عليه بالاخفاق؛ لأنها مصدر كل جبروت

---

[1]ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد محمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، (د،ت)، 53/3

[2]النساء/ 43، المائدة/6

وكل نجاح وحظوة، على أن ما يجدر بنا التوجسّ منه لدى التماس هذه الأمور هو أن يكون أولى ضحاياها[1].

إنَّ ظاهرة اللاممسوس اللغوي تمثل عند (أولمان) أهمية في الدرس اللغوي؛ لأنها تعد سببا من أسباب التغيّرات الدلالية، ويقول جيرو (Guirauel): إن هذه الظاهرة اللغوية قد انتقلت من اللغات المغمورة إلى لغتنا الحديثة، وتركت آثارا واضحة فيها[2].

ظهر مصطلح التابو (Taboo) في الربع الأخير من القرن الثاني عشر، ويعود الفضل في استعمالها إلى الكابتن كوك (1770) وقد أدخلها إلى اللغة الإنكليزية في البدء بمعنى الشيء الممنوع (Forbidden) واستعمل للتعبير عن ظاهرة التحريم والمنع[3].

وعبَّر نايف خرما عن المحظور اللغوي بمصطلح" الكلام المحظور اجتماعيا"، وذكر مقابله الإنكليزي وهو(Taboo)، وبيّن أن هذه الظاهرة اللغوية شائعة في المجتمعات جميعها، لكنها تخف في حدّتها في المجتمعات المفتوحة[4]. وقد أطلق مصطلح لفظة لطيفة للدلالة على المحسن اللفظي.

وهو عند مراد كامل ما يطلق على ألفاظ يتجنب استعمالها تحت تأثير مدلول مقدس أو ملعون، حُرِّم ذكره أو لمسه أو الاقتراب منه، وتحّل محل اللفظة التي تدلّ على هذا الشيء لفظة أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى[5]

ويستعمل رمضان عبد التواب مصطلحَي"اللامساس والحظر"، وهما يدلان على المحظور اللغوي، ويقول عن الحظر: هو ترجمة لكلمة (Taboo)، وتطلق على كل ما هو مقدس أو

---

[1] كايوا، روجيه ، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010، ص43

[2] أولمان، دور الكلمة، ص58

[3] حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، ص15

[4] خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص244

[5] كامل، مراد، دلالة الألفاظ، ص27

ملعون يحرَّم لمسه أو الاقتراب منه، من الأشياء وأسمائها؛ بسبب الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة[1] ، كما يقول بأنَّ بعض الألفاظ تُصاب بما يشبه الحظر على استعمالها في المجتمع؛ لأنَّ الناس يتشاءمون من ذكرها، يستبدلون بها كلمة أخرى، كاستعمالهم؛ المبروكة للحمى، والمرض الخبيث للسرطان[2].

نتبين – مما سلف– أن هذه ظاهرة قديمة حديثة وقد عُرفت بالمحظور اللغوي وباللامساس (Taboo)، وأطلقت على كل ما هو مقدس أو ملعون، ويَحرُم لمسه أو الاقتراب منه، لأسباب خفية، فإذا اصطدمت كلمة ما بحظر الاستعمال تحت تأثير عامل اللامساس، حلت محلها كلمة أخرى خالية من الضرر والأذى[3].

استعمل حاكم مالك لعيبي مصطلحيّ"اللامساس" و "تحريم المفردات" للدلالة على المحظور اللغوي، ويربط بين المحظور اللغوي والمجتمعات البدائية إذ يقول: وكثيرا ما يقع لدى المتوحشين أن يكون لبعض الألفاظ طابع من السرية والخفاء، يمنع بعض الأفراد من استعمالها، لكنه يضيف قائلا:"وليس هذا الأمر مقصورا على الأقوام البدائية، فإننا إذا رجعنا إلى تاريخ أكثر اللغات مدنية، وجدنا حوادث من هذا التحريم لا تَقِل صرامة عما عند الأمم المتوحشة، وتعرف هذه الظاهرة لدى المحدثين بتحريم المفردات(Taboo)[4].

وقد ذكر محمود السعران مصطلح اللائق من الكلام على المحسن اللفظي، فقال عنه:" ومقاييس اللياقة وعدم اللياقة فيما يتعلق باللغة، تختلف باختلاف العصور، وهي في كل عصر تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد، وباختلاف اللهجات المحلية، كما يشترك في تحديدها عوامل أخرى كثيرة، فإنه يسوغ بين جماعة من الذكور أو بين جماعة من

---

[1] عبد التواب،رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1987، ص345

[2] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) ص121

[3] أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص174

[4] لعيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980، ص105–106

الإناث النطق بعبارات وكلمات، ولا يسوغ نطقها لو ضم المجلس شخصا أو أكثر من الجنس الآخر، وبعض ما يتكلمه الرجل وزوجته حال انفرادهما لا يستعمله أحدهما أو كلاهما في ظروف أخرى، وقد ينصح الصغار بتجنب عبارات وكلمات لا يكون في تفوه الكبار بها غضاضة، وقد يؤذن للرجال بنطق ما لو نطقت به النساء لكان غير لائق، كما يؤذن للنساء بنطق ما لو نطق به الرجال لعد غير سائغ، ويقع فيما يدور بين المريض وطبيبه من حديث وكلمات وعبارات لا يذكرها كل منهما على لسانه في مجالات أخر[1].

وهذا الكلام دائما ما نلحظه ونعيشه في يومياتنا وخاصة في طرحنا للتعاليم التربوية في البيئة البيتية أو المدرسية أو الجامعية، من قول الكلمات يليق، ولا يليق بك التصرف، أو القول، هنا يجدر بك قول كذا وكذا، من هنا يظهر لدى الطفل أو الفرد عبارات وكلمات ما يجوز التلفظ به وما لا يجوز التلفظ به، فنحن نتكلم مع أقراننا غير ما نقوله لمن يصغرنا سنا، أو يكبرنا سنا، وما بين الطالب ومعلمه لا يكون ما بين الزملاء فيما بينهم.

---

[1] السعران، محمود، اللغة والمجتمع، ص132

المبحث الثالث
عوامل اللاممسوس

يقول نايف خرما ليس من السهل الاهتداء إليها، فإن أي كلمة ما هي إلا مجموعة من الأصوات البريئة التي يضفي عليها المجتمع معنى معينا لحاجته إلى ذلك المعنى، أما متى وكيف تصبح تلك الكلمة الضرورية المفيدة كلمة بذيئة في نظر المجتمع، فأمر محيّر فعلا؛ لأن الأمر الغريب أن الكلمة البديلة التي تستعمل (كلفظة) لطيفة بالنسبة للكلمة المحظورة، كثيرا ما تصبح هي الأخرى قبيحة في نظر المجتمع نفسه، بعد عدد من السنيين، فيحظر استعمالها، ويستبدل بها غيرها ثانية[1]،

فظاهرة الحظر او التحريم تشمل الأشياء والأفعال والأماكن والكلمات، وإن أسباب تحسين اللفظ والحظر اللغوي ترجع إلى أسباب، هي: الخوف والفزع، والكياسة والتأدب، والخجل والاحتشام، وهناك أسباب أخرى، منها:

1. التفاؤل والتشاؤم: تسهم هذه الظاهرة في تجنب ألفاظ معينة تحظر الجماعة اللغوية استعمالها فقديما أطلق العرب على الصحراء مفازة تفاؤلا، وتجنبا لكلمة مهلكة، كما أطلقوا على معوج الرجل أحنف، وأصل معناه المستقيم؛ لأنهم تطيروا من الاعوجاج إلى الاستقامة، ويقال للديغ سليم، وعلى الجوع أبو مالك تفاؤلا.

كذلك جميع الكلمات التي تعبر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث يفر منها الإنسان ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير.

2. قبح دلالة اللفظ: أو اتصاله بالقذارة وألفاظ الشتائم والسباب التي ارتبطت بظروف اجتماعية خاصة جعلتها قبيحة الدلالة، يأنف المجتمع من سماعها والنطق بها، مما يجعلها تنزوي وتحل محلها ألفاظ أخرى.

---

[1] خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص245

3. الحياء من استخدام اللفظة الصريحة؛ أو بأمور يستحي المرء أن يصرّح بألفاظها مثل التي ترتبط بالغريزة الجنسية، فهنا يستخدم الفرد ما يكنى عنها أو يستعير بغيرها، أو يشبه عنها كي لا ينفر الناس من هذه الألفاظ، فيكنى عن المصطلح الصريح، فقد كنى عن الجماع بالسر، وعن الذكر بالفرج، وعن قضاء الحاجة بالغائط، وعن الجلود بالفروج، وعن السرقة باليد الخفيفة، وعن الربا بالفائدة.

4. الدين والثقافة؛ فهذان العاملان لهما تأثير فعّال على الذهنية العربية؛ لأن الدين هو أساس التكوين البشري، من هنا جاءت الألفاظ المحسَّنة، بعيدا عن الألفاظ اللاممسوسة، فكان الدين من أهم المؤثرات التي تؤثر في اللغة، فقامت اللغة بتهذيبها وتلطيفها، ودعم القرآن الكريم هذا الأسلوب، فلا نجد في القرآن كلمة تدل على المستهجن من القول، وإنما جاءت كل ألفاظه ومفرداته مهذّبة، لتهذيب النفس البشرية، ولأنه رسالة سماوية يقتضي أن يكون خاليا من المحظورات؛ لأنه مقدّم لكل الطبقات الاجتماعية، والآيات التي ذكرتْ سابقا تدل على هذا.

5. المجتمع؛ فالبيئة الاجتماعية لها دور في تحديد المصطلحات والتراكيب التي يمكن البوح بها دون حذر منها، وهو(المجتمع) أيضا الذي يحدد ما يمكن استخدامه دون الحذر منه، أيضا لغة الرجل مع الرجل تختلف عن لغة الرجل مع المرأة، وكذلك لغة المرأة مع المرأة لا تكون بالكلمات المكشوفة.

فلا يكاد اللفظ منها يشيع حتى يمجه الذوق الاجتماعي، وتأباه الآداب العامة فيُستعاض عنه بآخر، من اللغة نفسها أو من لغة أجنبية، وقد كثرت الألفاظ الدالة على المكان الخاص بهذه الناحية، نحو: الكنيف، المستراح، بيت الراحة، وبيت الأدب، المرحاض،

الحمام، التواليت(كلمة أوروبية)[1]، وتم إطلاق هذه الأسماء نتيجة استقذاره، فيؤدي إلى أن تحمل معنى آخر مما يؤدي إلى تعدد المعنى.

إنّ اللغة العربية قادرة على ستر الألفاظ المحظورة؛ لارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم فقد ضمن لها بقاءها وحياتها، وعطاء موصولاً عبر حِقب زمنية طويلة انقضى منها أكثر من أربعة عشر قرناً، وهذه مزيّة لم تتوافر للغة من اللغات سوى العربية، ومن الثابت أن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– قام بتهذيبها وتقويمها كي يصطبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية الجديدة، فأصلح الرسول – صلى الله عليه وسلم– لغة التخاطب والتكاتب، كما جاء لإصلاح المعاد والمعاش، فكان يتخيّر في خطابه، ويختار لأمّته أحسن الألفاظ، وأجملها، وألطفها، وأبعدها عن ألفاظ الجفاء، والغلظة، والفحش، فلم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا فظاً، وكان – صلى الله عليه وسلم– "يكره أن يُستعمل اللفظ الشريف المصون في حقّ من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حقّ مَن ليس من أهله"[2]، ودأب صلى الله عليه وسلم– على تغيير الأسماء القبيحة لدلالتها على معانٍ تبعث على التشاؤم والتطيّر، وكان يُرغّب في الأسماء الحسنة[3].

فالإنسان"يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني وعلى أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات"[4]، فهو الذي يقدّر متى يستخدم الكلمات، بعيدا عن اللفظاظة، والغلظة.

---

[1] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص141–142

[2] كرد علي، محمد: أمراء البيان،ط3، 1969، دار الأمانة، بيروت، ص4.

[3] ينظر تفاصيل ذلك في: المنذري: الترغيب والترهيب، ص499، والسجستاني، أبو داود: سنن أبي داود: 706/2–712.

[4] الجاحظ، عمرو بن عثمان(ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، 1960، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد: 139/1.

ويبطل أي استعمال للألفاظ والمصطلحات التي ارتبطت بالحياة الجاهلية، فعن قبس بن أبي غرزة قال: كنّا نسمّى في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– السماسرة، فمرّ بنا رسول الله فسمّانا باسم هو أحسن فيه، فقال: يا معشر التجّار...."[1]. كما غيّر الرسول صلى الكريم أسماء بعض الصحابة الذين كانوا علىملّة الكفر فأكرمهم الله بنعمة الإسلام، فإن كان في دلالة الأسماء ما يشي بالخشونة أو الجفاء أو ما يستكره، كان عليه الصلاة والسلام يختار ما طاب معناه وحسنت دلالته وسهُل لفظه، فبدّل زيد الخيل إلى زيد الخير، ونصّ الرسول الفاضل أن من حقوق الطفل على والديه اختيار أفضل الأسماء له، مما يؤكد أن الإسلام راعى اللطف والتهذيب مع النشء المسلم منذ بداية التكوين؛ ليرسخ هذا السلوك في نفوس الأفراد.

وأبطل – صلى الله عليه وسلم– ألفاظ التحية نحو قولهم: أنعم صباحاً، وأنعم ظلاماً، وقولهم للملك: أبيتَ اللعن، وقولهم عند الاستعاذة من الخطر: حِجراً محجورا[2]، وجعل بدل تحيتهم تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله) وأبدل باستعاذتهم استعاذة الإسلام: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وغير ذلك كثير مما أبطله صلى الله عليه وسلم من الكلام[3].

وقد عمل هذا الصنيع على تثقيف اللغة العربية وزيادة حذقها، وذوقها، وتحسين صورتها عند أصحابها، زيادة على ما هذه اللغة من عناصر ثقافية كامنة فيها بوصفها لغة حيّة تفترض في الناطقين بها حسّاً مرهفاً، وذوقاً رفيعاً، وثقافة معينة تمكّنهم من البحث عمّا وراء كلماتها وتراكيبها من الدلالات والإيحاءات وضروب الإبلاغ والبيان.

---

[1] الألباني: صحيح سنن ابن ماجة، ج6/2.

[2]السيوطي، المزهر، ص296-298.

[3]ينظر: أبو عبيدة: غريب الحديث: 421/1.

المبحث الرابع
المجالات الدلالية للاممسوس اللغوي

إن الكلمات تملك قوة سحرية (Magic Power) فبعضها يصيب المتكلم بالأذى والضرر، كما أن بعضها الآخر قد يعطيه نوعا من القوة والحماية.

وتتسع دائرة المحظورات اللغوية لتشمل أسماء المتكلمين أنفسهم؛ فالأسماء تؤدي دورا مهماً في علاقات الإنسان. قيل للعتبي: ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة؟ فقال: لأنها سمت أبناءها لأعدائها، وسمت عبيدها لأنفسها[1]، فالكناية عند العلماء القدماء _ كما سبق ذكره_ على ثلاثة أوجه:

1. التعمية والتغطية،
2. الرغبة عن اللفظ الخسيس،
3. الكناية للتبجيل في قولهم أبو فلان، صيانة لاسمه من الابتذال[2].

يرى حسام الدين أنَّ ظاهرة الحظر أو التحريم (Taboo) تشمل الأشياء والأفعال والأماكن والكلمات، وأن أسباب تحسين اللفظ والحظر اللغوي ترجع إلى ثلاثة أسباب، وهي: الخوف والفزع والكياسة والتأدب، والخجل والاحتشام، أما طرق التحسين اللفظي فجعلها خمس طرق: التحول المجازي، والدلالي، والتوسع الدلالي، والابدال الصوتي، والاقتراض اللغوي[3]، فحصرها في المفارقات اللغوية والمعتقدات والعادات الاجتماعية، والمرض والموت، والأمور الجنسية[4].

---

[1] الثعالبي،أبو منصور إسماعيل، فقه اللغة، وسر العربية، (د.ط) 1970، دار الكتب العلمية، بيروت، ص363

[2] ابن فارس، الصاحبي، ص439

[3] حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، ص46-63

[4] المصدر السابق، ص65

وقد جعل محمود السعران المجالات الدلالية للمحظور اللغوي مقصورة على الموت والأمراض، والأرواح الشريرة، وبعض الوظائف الفسيولوجية للجسم وهي الوظائف الجنسية والأعضاء الجنسية[1].

ونايف خرما حصرها في؛ الخرافات والأساطير التي تنمي الخوف من بعض الكلمات، والموت وما يتصل به من مقدمات مرضية وأمراض معدية، والنسل والتناسل وما يتعلق به من أمور جنسية وأعضاء تناسلية[2].

التحول من الألفاظ اللاممسوسة إلى ألفاظ محسنة

- التحول المجازي: المجاز من أهم الوسائل التي يتوسل بها المتكلم للتعبير غير المباشر عن الكلمات أو المعاني، مثال ذلك، التعبير عن المرأة بالقارورة أو الحلة، والتعبير عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بذوق العسيلة، وكشف القناع، وإتيان الحرث والملامسة[3].

مال القرآن الكريم إلى الإلماع إلى ما لا ينبغي ذكره، فليس هناك دلالة صريحة وإنما مجازية، وخاصة ما يتعلق بالجماع، ومباشرة النساء، أو بقضاء الحاجة.

- التحول الدلالي: تجنب المعنى المراد التصريح به، إلى معنى آخر، ومن ذلك قوله تعالى: "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق"[4]؛ فهو تحول عن المعنى المراد التصريح به، وهو الحدث وذكر شيء ملازم له وهو الأكل؛ لأن من أكل فلا بد له من عاقبة الأكل[5].

---

[1] السعران، محمود، اللغة والمجتمع، ص130

[2] خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص246-249

[3] حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، ص58

[4] الفرقان:7

[5] الثعالبي، الكناية والتعريض، ص29

وقال تعالى:{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام }[1]، وهنا دليل واضح على ملازمة الحدث للأكل.

- التوسع الدلالي: يعنى به تجنب المعنى المحدد والضيق أو المقصود التعبير عنه والدوران حوله إلى معنى آخر أكثر شمولا واتساعا، ومن ذلك التعبير عن الجماع، قال تعالى:{ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد}[2]؛ فالمباشرة: التقاء بشرتي الرجل والمرأة [3]، وفي الحديث:" إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل" أي ذكر الرجل وفرج المرأة[4].

فاللفظة لا تكون كلمة منعزلة في مدلولها، فإنها متى شخصت أمامنا ولو على شكل صفة من صفاتها، تبعها في شعورنا عدد من المعاني والعواطف التي ترتبط بها، فالألفاظ التي نختزنها في أذهاننا لها مشاركة فعّالة في حياتنا الفكرية والعاطفية[5].

قال تعالى:{ هو أذى لكم فاعتزلوا} [6]، وقوله تعالى:{من حيث أمركم الله} [7] ، و{ فأتوا حرثكم أنّى شئتم}[8]؛ وهذه تدل على الكناية اللطيفة في القول، مما يدل على مراعاة الحياء، والاستهجان من ذكر المحظور اللغوي.

وتعمد اللغة إلى استعمال هذه الوسيلة مع كل شيء مقدس أو ذي خطر أو مثير للرعب والخوف كما تطبقه على الأشياء الشائنة أو غير المقبولة لدى النفس، فمن المعروف أننا نلجأ

---

[1] المائدة:75

[2] البقرة/187

[3] ابن منظور، لسان العرب، بشر

[4] نفسه، ختن، وابن الأثير، النهاية والبداية، 10/2

[5] كامل، مراد، دلالة الألفاظ، ص5

[6] البقرة: 222

[7] البقرة:222

[8] البقرة:223

دائما إلى العبارات الرقيقة والتلميحات اللطيفة والتحويم حول المقصود عندما نضطر إلى إلقاء الأخبار السيئة، وبخاصة أخبار المرض أو الموت[1].

فاللفظة تعد السبب الرئيس لكل نقد يوجه إلى اللغة، ولا غرابة في ذلك، فاللفظة هي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل، وللفظة مكانة مستقلة في المعجم وهي تخضع في استعمالها لعدد من القيود[2]

1. اللاممسوس في الزمن :

اللغة تعبير صادق عن ثقافة المجتمع، بل هي وعاء لهذه الثقافة التي تحمل تصوراً ورؤية لكل ما حولها، فشكل الزمن بعدا ثقافيا في الذهن الإنساني، وأحيانا كان يتطيّر الناس منه.

"كان من شأن العرب أن تذم الدهر، وتسبه عند النوازل والحوادث التي تنزل بهم من موت أو هرم، فيقولون أصابتهم صروف الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر فيجعلون الدهر الذي ذلك فيذمونه"[3]

يقول كريم حسام الدين: إنَّ كثيرا ما نسمع مثل: بوائق الدهر، نائبات الدهر، نكبات الدهر، وهذه التعابير اللغوية تؤيد ما جاء عند ابن الأثير وبعد ذلك، ردّ عليهم الشرع في قوله تعالى:" وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون"[4]، فقد جرّدَ لفظ الدهر من الإيحاءات الجاهلية، فالفاعلية الحقيقية التي نُسبت

---

[1]أولمان، دور الكلمة، ص196-197

[2]كامل، مراد، دلالة الألفاظ، ص6

[3]ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد محمد الحوفي وبدوي طبانة، (د.ت،د.ط)، دار النهضة، مصر، ص63-69

[4]الجاثية: 24

للدهر أو الزمان هي لله سبحانه وتعالى[1]، ويعد هذا من التطور اللغوي بانتقال اللفظ وتغييرها إلى استعمال آخر.

وكذلك استعمل العرب لفظ السَّنة بدلالة المدة الزمانية، وبمعنى الجدب أو الشدة أيضا؛ ومن ذلك قولهم: أصابتهم السَّنة أي أصابتهم قحط أو شدة، فجاء في القرآن الكريم: { ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شِداد يأكلنَ ما قدَّمتم}[2] أي سبع سنين فيها قحط وجدب[3]، وهنا استخدم بدلا للجدب أو القحط السَّنة، وهو من حسن التلطف.

لم يكن مفهوم الزمان الجمعي في ذهن الجماعة العربية مقتصرا على معاني المرض والعجز، كما وجدنا في لفظ الزمان والشدائد والمصائب، كما وجدنا في ألفاظ الدهر، واليوم؛ والأبد، والأزل، والموت والهلاك في لفظي الحين الأجل، والجدب والفساد في لفظ السَّنة، بل نجد معنى الخوف أو التشاؤم يرتبط أيضا بالزمان أيامه وشهوره، مما يدخل بعض أوقات الزمان ضمن ما تعرفه المجتمعات الإنسانية من المحظورات (Taboos)، ومنها الزمان المحظور أو المحرم[4].

يقول كريم حسام الدين: إنَّ العوام في مصر ما يزالون يعتقدون أن هناك ساعات من النهار بل أياما مخصوصة لا يحسن بالمرء أن يأتيَ فيها عملا لأنها منحوسة، فذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الاعتقاد في الأيام سعدها ونحسها يعود إلى الفراعنة القدماء[5] .

وأيضا نلحظ نحن هنا في بيئتنا ما يدل على هذه الصفة، فهناك أوقات لا يحسن الزواج بها، ولا يجوز النوم فيها، وعلى العكس فهناك أيام كالجمعة الزواج فيها محبب، وهناك أيام تدل

---

[1] حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، ط1، 1991، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ص92

[2] يوسف: 48

[3] حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي، ص95

[4] نفسه: ص98

[5] نفسه: ص98 هامش

على البؤس والشقاء والحزن، وهناك ما يدل على الفرح والسعادة، وهذه كلها مرتبطة بذاكرة الإنسان.

الأجل؛ وقد استعملت بدلالة وقت حلول موت الإنسان وكأنه قد استدان عمره لمدة محدودة وعليه أن يرده مع حلول الوقت في مثل قوله تعالى:{ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها}[1]، وقوله تعالى:" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"[2]، وهنا تم التلطف بالموت بلفظة الأجل، وما للموت من وقع سلبي على سماع الناس.

وهناك بعض أوقات الزمان ارتبطت بالخوف والطَيَرة في أذهان الجماعة العربية التي عرفت ما يسمى بالمحظور(Taboo) أو المحرّم من الزمان، فقد تشاءمت من بعض الأيام والشهور مثل يومي الأحد والأربعاء، وشهر شوال، وحرمت فعل بعض الأشياء فيها؛ مثل

الراحة وقسطها من النوم وخفَّ عنها ثقل الغذاء"[3]، وما زال هذا الظن جاريا إلى الآن، فالناس تعتقد أن وقت السحور هو الوقت المفضل للدراسة والحفظ، وكثيرا ما نسمع أن الطلاب يلتزمون به للتحصيل والمعرفة، ومن هنا جاء المثل الشعبي عشْ رجباً ترَ عجبا[4]، نلحظ اهتمام العرب بالزمن والوقت، ليدلّ على ذاكرة ذهنية مخزونة بالخوف من الزمن، والفزع منه أحيانا، وأحيانا أخرى يكون الاستعداد للفرح في أوقات معينة.

لكن ما تزال الذاكرة العربية مخزونة بالخوف والفزع من كل شيء.

2. اللاممسوس اللغوي في بعض الصفات:

[1]المنافقون: 11

[2]الأعراف: 34

[3]حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي: ص103

[4]الميداني، أبو الفضل أحمد، 2003، مجمع الأمثال، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 340/2

في الكنايةِ عن الختانِ، يقولُ الثعالبيُّ: ويكنى عن الختان بالطهر والتطهير، ويضيفقائلا:"ومن لطائف الأَطِبَاءِ كِنَايَتهُمْ عن حشوِ الأمعاءِ بالطبيعةِ وعن البولِ بالماءِ ، وعن القيء بالتعالج"[1].

وفي الكنايةِ عن بعض الصفاتِ الخَلْقِيةِ والخُلُقيَّة، ويكنى عن الأعمى بالمحجوبِ، وعن الأعورِ بالممتعِ وعن البخيلِ بالمقتصد، وعن الأعمى بالبصير[2]، ونحن نسمي العور بالعين الكريمة، تلطفا منا بعدم المساس بمشاعر المستمع أو المتلقي.

3. اللاممسوس اللغوي في الموت:

وعن ذلك يقول الثعالبيُّ: وتقول العرب في الكناية عن الموت: استأثر اللهُ به، أسعده اللهُ بجواره، نقله اللهُ إلى دار رضوانه، اختاره الله[3]، ونحن نقول: في ذمة الله، انتقل إلى رحمة الله، المرحوم خوفا من ذكر اسم المتوفى، الله أخذ أمانته، والكثير من الألفاظ التي تخيف السامع وترهب مشاعره.

ومن ذلك قولُهم لحق فلان باللطيف الخبير، ولعق فلانٌ اصبعه، واستوفى أكله، واصفرت أناملهُ، ومضى لسبيله وَدُعِيَ فأجاب، وَقَضَى نحبه، والنحب النذر[4].

وقالوا في التطيّر في القتل: "واعلم أنَّ العربَ كما يكنون عن الموت تطيراً من ذكره، كذلك يكنون عن القتل، فيقولون: ركب فلانٌ الأغرَّ الأشقَر إذا قُتل، ويكنّى عن قتل الملوك خاصة بالمشعرة، إذ كانوا يكبرون أن يقولوا قُتِلِ، فيقولون أشعر من إشعار البدن"[5].

4. اللاممسوس في المرأة:

---

[1] الثعالبي، الكناية والتعريض، ص24، وينظر الراجحي، علي بن عبد العزيز، التلطف في الأساليب العربية، ص15

[2] نفسه، 46-47

[3] نفسه، 62

[4] الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء، ص64

[5] نفسه، ص67-69

والمرأة من اللاممسوس اللغوي، وهي لا تذكر صراحة، لا في الحديث العام ولا في الحديث الخاص، وتذكر كثيرا في الشعر العربي، أحيانا بألفاظٍ صريحة مكشوفة، وأحيانا بإستعارة أو تورية أو كناية، فكان يكنّى عنها بالشّموس، والجآذ[1]ر، والظباء، والمها والبقر[2].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " إياكم وخضراء الدّمن"، وهنا المقصود بها المرأة الحسناء في المنبت السّوء، نستدل من هذا الكلام، أخلاق رسولنا الكريم، وإنّه لعلى خلق عظيم، كما يكنّى عن الحُرُم بمن وراء السّتر، وعن الزّفاف بتأليف الشمل، واتّصال الحبل، وعن الزوجة بكبيرة البيت[3]، وعن الأخت الشقيقة أو كريمة، وهذه المفردات ما زالت تستخدم إلى الآن، وخاصة على بطاقات الأفراح، فيُكتب، كريمته بدلا من اسم العروس، حفاظا عليها من الابتذال في معرفة اسم العروس، أو خشية من الحسد والعين.

وقد تقع الكناية عمّن لا يجسرون على تسميتها أو يتذممون من التصريح بها، كما قال الشاعر:

إذا أكل الجراد حروثَ قومٍ فحرثي هّمه أكل الجرادِ[4]

ويعني بحرثه المرأة، وقوله تعالى: {نساؤكم حرث لكم}[5]

5. **اللاممسوسفيأعضاءالجسد:**

ويعد الجسد من اللاممسوس اللغوي الذي حظي بالتخفي والتورية والكناية، ومعاجم اللغة بها العديد من الألفاظ الصريحة، وكذلك كلام الله عز وجل، وكلام العرب.

---

[1]الجآذر: البقر الوحشي

[2]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص19

[3]نفسه، ص25

[4]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص15

[5]البقرة: 223

ومن الكناية عن أعضاء الجسد من باب الاحتشام والتأدب والكياسة، قوله تعالى: { والذين هم لفروجهم حافظون}[1]، وقوله تعالى:{ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها}[2]، و قول الشاعر:

وإذا الكريم أضاعَ مطلب أنفه   أو عرسه لكريهةٍ لم يغضب

فكنّى عن فرجِ الأم او الأخت بقوله [مطلب أنفه] وهذا دليل على حذق الشاعر، ومعنى البيت أن الرجل متى لم يحْمِ فرج أمه أو امرأته أو أخته لم يغضب من شيء يؤتى إليه بعد ذلك[3].

وكانت الشعراء تصف المآزر وتكنّي بها عمّا وراءها تنزيها لألفاظهاعمّا يستبشع ذكره كي تحظّى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتدِ إليه غيره، وذلك في قول المتنبي:

إني على شغفي بما في خمرها   لأعفّ عمّا في سراويلاتها[4]

وقد عابوا عليه ذكر السراويل، لما بها من خدش للعفة .

6. اللاممسوس في العلاقات الجنسية

يتساءل (فوكو) لماذا ربط الناس بين الخطيئة والجنس، عن متى وكيف وتحت أي شكلٍ تم تشكيل الفعالية الجنسية باعتبارها حيِّزاُ أخلاقياً"[5]، ويضيف فوكو: "إنه منذ سر التوبة المسيحية المسيحية حتى اليوم، كان الجنس يؤلف مادة الاعتراف المميزة، كان ولا يزال وحتى اليوم القالب العام الذي يحكم إنتاج الخطاب الصحيح حول الجنس"[6].

---

[1]المؤمنون:5

[2]التحريم: 12

[3]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص26

[4]الثعالبي، الكناية والتعريض، ص26

[5]فوكو، ميشال، إرادة المعرفة، ترجمة: مطاع صفدي وجورج أبي صالح، د.ط، 1990، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص32

[6]نفسه: ص73

يقول فوكو:" ليس لحضارتنا فن شبقي، فهي الحضارة الوحيدة التي تمارس علما جنسيا والتي طورّت عبر قرون عديدة إجراءات تنظم أساسا في شكل من أشكال السلطة / المعرفة، هذا الشكل هو الاعتراف، تجيب الميثولوجيا الإسلامية عن سبب ربط الناس الجنس بالخطيئة، وكيف تم بها تشكيل الفعالية الجنسية حيزاً أخلاقياً، عن جنسانية مضمرة وصريحة داخل الخطاب الميثولوجي الإسلامي، فالعلاقة بين الجنسانية والميثولوجية تظل علاقة وطيدة وتشكل ركيزة مرجعية لجنسانياتنا المعاصرة"[1].

قال تعالى:{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن}[2]

الفَرْج؛ هو الثغر، الصدع، والفلق، والفرجة بين شيئين، والفروج هي الأعضاء التناسلية عند الرجل مثلما عند المرأة، من الأمام مثلما من الخلف، وفَرَج" شق، فلق، فتح، أزال، بدّد، وسّع، والفُرج (صفة) يقال أيضا لمن لا يكتم السّر، والفريج: الشق، الفلق، والفجوة بين الأصابع[3].

والفرج كما يقول فتحي بنسلامة: يدل على عضو الرجل مثلما يدل على عضو المرأة، ولكن العرب اليوم تخلّوا عنه، مادام أنه لم يعد يدل الآن إلا على العضو للمرأة فقط[4]، وبالتالي قول الرسول – صلى الله عليه وسلم– يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" وهنا الفرج لم يقتصر على جنس دون آخر.

---

[1] الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، ط2، 1995، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ص74

[2] النور: 31

[3] ابن منظور، لسان العرب، فرج

[4] انظر: عبد الواحد، حورية، اللغة والمرأة أطروحات عربية في التحليل النفسي، ترجمة: حسن عودة، ط1، 2006، دار بدايات، سوريا، ص114

ففي كتاب العشق والباه لابن القيم الجوزية يكثر استخدام ألفاظ الجماع، وفوائده، ومضاره، وكيف يكون، ويتم هذا الحديث بمكاشفة تامة، فاللغة هنا صريحة لا مواربة فيها[1]، وهذه اللغة لم تكن مستخدمة، فدائما يميل الإنسان إلى الكناية والاستعارة، وإلى عدم المكاشفة، كي لا يقع بالمحظور، أو الممنوع الاجتماعي والديني والثقافي، لكن نجد ان بعض الكتّاب مال إلى المكاشفة في القول، في حين نجد أن رسول الله نهى عن التصريح والتجريح في القول، فقد نهى عن المواقعة قبل الملاعبة" [2]، والمواقعة هنا النكاح، أو الوطء.

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:" إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ"[3]

وهنا جاء الإتيان بمعنى الجماع، فقد اختار رسول الله الألفاظ الحسنة المحببة للنفس، المهذبة، فالإتيان دليل على التلطف في القول.

وقال تعالى:" هنَّ لباسٌ لكم، وأنتم لباسٌ لهنَّ"[4] وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال، فإن فراش الرجل لباس له، وكذلك لحاف المرأة لباس لها، وهنا استعارة اللباس، ولذا سميت المرأة فِراشا[5].

وكذلك في كتاب النفزاوي (الروض العاطر في نزهة الخاطر) مادة وفيرة من الكلمات اللاممسوسة، يذكرها النفزاوي بلا تحرّج، أو ريبة[6]، وهنا يذكر المحمود من الرجال، والمحمود من

---

[1]ابن قيم الجوزية، في العشق والباه، سلسلة الجنس عند العرب، ط3، 2007، منشورات الجمل، ألمانيا، 9/1

[2]نفسه: 12/1

[3]نفسه: 14/1

[4]البقرة: 187

[5]ابن قيم الجوزية، العشق والباه، 14/1

[6]النفزاوي، سيدي محمد، الروض العاطر في نزهة الخاطر، سلسلة الجنس عن العرب، ط3، 2007، منشورات الجمل، ألمانيا، 36/1–40، وهنا نذكر ما جاء عند النفزاوي لنظهر لغته، يقول: اللذة الكبرى للرجال في فروج النساء وجعلها للنساء في أيور الرجال، فلا يرتاح الفرج ولا يهدأ ولا يقرّ له قرار إلا إذا دخله الإير... وإذا اتصل هذا بهذا، وقع بينهما الكفاح والنطاح، ويقصد بهما النكاح.

من النساء، والمكروه من الجنسين، وفي أسماء الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين[1]، وهذا من باب المكاشفة التي مال إليه بعض الكتّاب، وقد يكون الهدف منه الاستمتاع في القول وليس الفحش ونشر الرذيلة؛ لأنّ مثل هذه الألفاظ لا تستخدم في أي مكان.

وقال بهلول لحمدونة بنت المأمون زوجة الوزير، في النكاح:

تفرقت الناس في شغل وفي شغل ... وفي انبساط وفي قبض وفي جسم

وفي اضطراب وفي فقر وشحت ... وفي غناء مال وفي أخذ وفي نعم

ولا غرامي إلا في النكاح وفي ... حب النساء بلا شك ولا وهم[2]

وهنا يروي القصة كاملة كي تحصل حمدونة على حلة بهلول، لكنه يخدعها في الكلام وتقع في مواقعته، ومع ذلك لا تحصل على الحِلة المرصعة بالذهب، وهنا يكشف لنا النفزاوي عن لغة مكشوفة لا تخشى أن يتلفظ بها لا مع العامة ولا الخاصة من الناس[3].

---

[1]نفسه: 40/1، 67–74، وهنا ذكر لأسماء الأعضاء التناسلية، نحو: الكمرة، الاير، الأعور، الدماع، أبو عين، أبو قطامة، وغيرها الكثير، كما يكثر من استخدام الجسد

[2]نفسه: 48/1–53.

[3]السيوطي وعبد الرحمن بن نصر الشيرازي، الإيضاح في علم النكاح، سلسلة الجنس عن العرب، 122/1–146، وهنا يذكر مفردات الأعضاء التناسلية؛ وألفاظ النكاح، كالجماع، الغنج، النخار عند الجماع، الإيلاج، الحك، الدك ونلمح في كتاب الإيضاح في علم النكاح المنسوب للسيوطي ولعبد الرحمن بن نصر الشيرازي، ألفاظ النكاح صريحة ومباشرة، ويصف العبارة بلا كناية، وكأن الكاتب قصد إلى عدم التستر، فاللفظة لا تدل إلا على نفسها، فيذكر قول الشاعر:

قضيب البان من أعطافه ... ورمى العنقود من ترشاقه

وقد استعمله الثعالبي بصيغة الفعل في الخاص بالكناية عن عورة المرأة، في موضع آخر استعمله بصيغة الجمع في لطائف؛ فمن لطائف الأطباء كنايتهم عن حشو الأمعاء بالطبيعة والبراز، وعن سيلان الطبيعة الخلقة، وعن القيام لها الاختلاف ومن بعض ألفاظ النكاح؛ المَسْح: النكاح الشديد،الدَّعس والعَزْد: النكاح بشدة وعنف، الهَكُّ والهقُّ والإجهاد: شدة النكاح، الخوق: أن يباضع الجارية فتسمع للمخالطة صوتا، ويقال لذلك الصوت خاقْ باق، الدَّحْب والهرْج: كثرة النكاح، الرَّهز والارْتهاز واجتماع الحركتين في النِّكاح، لتدليس: النِّكاح خارج الفَرْج، يقال: دَلَّس ولم يُوعِب، للمزيد ينظر في الثعالبي، الكناية والتعريض، ص29، وفقه اللغة، ص178–179

ويرى عبد الله الغذامي مستشهدا بعبد الحميد بن يحيى الكاتب، بأن خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بِكْرا"، وكأنه بهذا يعلق عن قسمة ثقافية يأخذ فيها الرجل أخطر ما في اللغة وهو (اللفظ) بما أنه التجسد العملي للغة، والأساس الذي ينبني عليه الوجود الكتابي، والوجود الخطابي لها، فاللفظ فحل ذكر وللمرأة المعنى، وهي قسمة تفضي إلى قسمة ثانية يأخذ فيها الرجل (الكتابة) ويحتكرها لنفسه ويترك للمرأة (الحكي)[1].

وهنا نلتفت للعلامة جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الذي عاش في القاهرة(ت911هـ)، وقد كتب كتبا عديدة عن هذا الموضوع، من مثل كتاب (رشف الزلال من السحر الحلال)، كيف مارس كتابة عشرين حكاية لعلماء من علماء التفسير والحديث والبديع والعروض والطب والمنطق والتصوف والمعاني والتجويد والبيان، وكان كل عالِم يتولى الإخبار عن قصة دخوله على زوجته في ليلته الأولى دون وجل أو تحرّج من كتابة الجنس والشهوة ومتع الجسد[2]، فربما مرّد التغاضي إلى سلطة السيوطي الذي لم يكن ماجنا ومتهتكا وخارجا على الأصول، بل إنه على العكس من ذلك أحاط بسبعة علوم مختلفة هي التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع.

لكن كيف للسيوطي أن يقوم بكتابة مثل هذه الكتب التي يتعامل فيه مع الجنس والشهوة مثله مثل النفزاوي في الروض العاطر؟ وكيف لهم ممارسة الكتابة الجنسية بكل صراحة بلا اي استعارة أو كناية، باستخدام اللفظ الصريح؟ ألم يكن الرقيب موجودا؟ أم أن الرقيب استيقظ في العصور التالية.

"والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم من إرادته وقصده شيئان؛ أحدهما: حاضر معنا، والآخر: غائب عنا إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم

---

[1]الغذّامي، عبد الله، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1996، ص7

[2]سلسلة الجنس عند العرب، 88/3، وله كتاب اسمه نواظر الأيك في علم النيك

الحاضر معنا، فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصورها، من استخفافها شيئا أو استثقاله ونقبله أو إنكاره، والأنس به والاستيحاش منه، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما في النفوس"[1] .

والغائب عنا هو سياق حال الموقف التعبيري المصاحب لعملية القول، فما أشار إليه ابن جني وسماه (الغائب عنا) الذي نعرفه بدلالة الحاضر معنا ما هو إلا سياق حال الموقف التعبيري المصاحب لعملية القول وهذا ما يعرف لدى القدماء بما كانوا يشاهدونه من أحوال العرب واستخفافها، حتى إنه لا يصبح شاهدا حسب، إنما هو كالقسم الذي يحلف على ما في نفوسهم ويؤيده ويبقى حاقدا يتصور غير ذلك[2].

ومن ألفاظ الزواج وهي عديدة وسنورد مجموعة منها: الخَجَأُ: النِّكاح، وخَجَأَ المرأة يَخْجَؤُها خَجْأً: نكَحَها[3].

- العَفْزُ: الملاعبة، يُقال: باتَ يُعافِز امرأته أي يُغازلُها، قال الأزهري: هو من بابِ قولهم: باتَ يُعافِسُها فأبْدَل من السِّين زايا[4].
- شَفْتَن: ابن الأعرابي: أرَّ فلانٌ إذا شفتن وآرَ إذا شَفْتَن، قال أبو منصور: كأن معنى شَفْتَنِ إذا ناكح وجامع مثل أرَّ وآرَ، قال ابن بري: الشَّفَتَنة: يُكنّى بها عن النِّكاح، قال ابن خالويه: سَأَل الأحَدَبُ المؤدّب أبا عمر الزّاهد عن الشَّفَتنة فقال: هي عجفك الصِّبْيان في الكُتَّاب[5].

---

[1]ابن جني، الخصائص، 245/1

[2]مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص157–164

[3]ابن منظور، لسان العرب، خجأ

[4]المصدر السابق، عفز، والمقاييس، عفز

[5]ابن منظور، شفتن

- الشَّفِرَة والشَفِيرَة: امرأة تَجِدُ شَهْوَتَها في شُفْرِها فَتُنْزِل سريعاً، أو القانِعة من النِّكاح بِأَيْسَرِه[1].
- خَرَطَ جارِيَتَهُ خَرْطاً: نكحها[2]، الدَّجْلُ: دَجَلَ الرَّجُل المرأة ودَجَاها: إذا جَامَعَها، وهو الدَّجْلُ والدَّجْوُ[3].
- الدَّح: النِّكاح، الدَّحْم: النِّكاح، دَحَمَها يَدْحَمُها دَحْماً، الدَّسر: الجماع، دَسَمَ المرأة دَسْماً: نَكَحَها، الدَّعْزُ: النِّكاح، دَعَزَ المرأة يَدْعَزُها دَعْزاً: جامَعَها[4].

- ذاقَ الرَّجُلُ عُسَيْلَةَ المرأة: أَوْلَج فيها أُذاقَهُ حتى خَبَر طيب جماعها، وذاقَتْ هي عُسَيْلته كذلك لمَّا خالَطَها[5].
- الرَّهس: الوطء[6].
- رَهَزَها المُباضِع رَهْزاً: الرَّهْزُ: الحركة، وقد رَهَزَها المُباضِع رَهْزاً ورَهَزَاناً فأَرْتَهَزَت: وهو تَحرُّكُهُما جميعاً عند الإيلاج من الرَّجل والمرأة[7].
- التَباعُلوالبِعال: ملاعَبَةُ المرءِ أَهْلَه، وقيل: البِعال النِّكاح، ومنه الحديث في أيّام التَّشْريق: إنّها أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وبِعال. ويُقال للمرأة: هي تُباعِل زَوْجَها بِعالاً ومُبَاعَلةً أي تُلاعبه[8].

---

[1] ابن منظور، شفر
[2] نفسه، خرط
[3] نفسه، دجل
[4] نفسه، دعز
[5] نفسه، ذوق
[6] نفسه، رهس، ومقاييس، رهس
[7] ابن منظور، لسان العرب، رهز
[8] نفسه، بعل

- بَاشَرَ الرَّجل امْرَأته: بَاشَرَ الرَّجل امرأته مُبَاشَرَة وبِشَاراً: كان معها في ثوبٍ واحد فَوَلِتَ بشرته بَشَرَتَها، وقوله تعالى:"ولا تُبَاشروهنَّ وأنتم عاكفونَ في المساجد"،معنى المُبَاشَرة: الجِماع، وكان الرَّجل يخرجمن المَسْجِد، وهو مُعْتَكِف، فيُجَامِعثميعود إلى المَسْجِد، ومُبَاشَرَةُ المرأة: مُلامَسَتُها1.

- أَفْهَرَ الرَّجُل: الفَهْر: أن ينكح الرجل المرأة ثم يتحول عنها قبل الفراغ إلى غيرها فَيُنْزِل، وقد نُهي عن ذلك. وفي الحديث أنّه نُهي عن الفَهْر، وكذلك الفَهَر، مثل نَهْر ونَهِرَ، بالسكون والتحريك، يقال: أَفْهَرَ يُفْهِر إفهاراً.ابن الأعرابي: أفهر الرجل إذا خلا مع جاريته لقضاء حاجته ومعه في البيت أخرى منجَواريه، فَأَكْسَل عن هذه أي أَوْلَجَ ولم يُنْزِل، فقام من هذه إلى أُخْرى فأنْزَل معها، وقد نُهي عنه في الخبر. قال: وأَفْهَرَ الرجل إذا كان مع جارِيَتهِ والأخرى تَسْمَعُ حِسَّه، وقد نُهيَ عنه[2].

- وَمَسَ المرأة: جامَعَها[3].

وألفاظ الزواج وأشكاله وأوضاعه كثيرة في المعاجم اللغوية، وهي تدل كيف استخدمت كلمة لتدل على معنى واحد وهو النكاح أو الزواج، خشية الوقوع في اللاممسوس اللغوي، كما تدل على وفرة اللغة بمفرداتها.

---

[1]نفسه، بشر، والمقاييس، بشر

[2]نفسه، فهر

[3]نفسه، ومس

الخاتمة:

اللغة ترتبط بصورة وثيقة بالإنسان، وبيئته، وتستتب أهميتها في كونها الوسيلة التي يحتاج إليها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، والتي تتيح له بصورة طبيعية أن يعبر عن آرائه وأحاسيسه محققا بذلك ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه[1].

[1]زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ط1، 1982، المؤسسة الجامعية للنشر، ص25.

فاللغة تعبر عن فكر المجتمع وهمّه وعقله وتراثه، وما أميل إليه في خاتمة الدراسة هو أن العرب كانت تأنف _ بالجملة_ عن استعمال الألفاظ المباشرة أو المتهتكة في شتى مجالات الحياة، وكانت تتوسل بوسائل بلاغية للتلميح والتورية عن التصريح مما يستكره أو يستقبح، إلا إذا اقتضت الحاجة كما هو في فقه الأحوال الشخصية التي يتعين التصريح تحقيقاً للعدل، ودفعاً للغموض واللَّبس.

ونهج القرآن الكريم منهج التلطف في مخاطبة الناس وتوضيح مراميه، فلا نقف في القرآن على ما يخدش الحياء، أو يمس الذوق العام، فراعى القرآن الكريم التلطف ونبهنا إلى التأدب في الخطاب. ثم إن الرسول عليه الصلاة والسلام نهج الأسلوب نفسه في تخيُّر ألفاظه، فليس فيه ما يمجه الذوق أو تعافه النفس، بل كان كلامه يتنزّل على النفوس بيسر وسكينة، انسجاماً مع ما تميل إليه النفوس من التفاؤل وتجنب التشاؤم أو ما يحظر ذكره. وبهدى الرسول الكريم اقتدى الصحابة والمسلمون من بعد، وراح العلماء يضعون الوسائل اللغوية التي تعين على الإفصاح عن خطرات النفس أو نتاج الفكر بتلطف وأدب.

غير أن الأمة العربية مرّت بحالات ضعف وتراجع، فانتشر فيها اللهو وضروب التسلية، فسنحت الفرصة لبعض المؤلفين أن يصنفوا كتباً للتسرية والمسامرة، استعملوا فيها ألفاظاً مكشوفة دون تعمية أو كناية، فخاطبوا الأحاسيس، وتطلعوا إلى إيقاد الشهوات في سبك القصص الجنسية، أو تخيل مشاهد قصصية مضمخة بألفاظ الجنس، فشاعت هذه المصنفات بين العامة، وتردد كثير من المحققين إخراجها للناس، لئلا يكونوا من أولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس. وما يجدر ذكره أن أغلب المصنفات شاعت في عصر الضعف أو يطلق عليه مؤرخو الأدب" عصر الانحطاط"" ففي هذا العصر كثرت المصنفات التي تتحدث عن السحر والقدرات الخارقة والخزعبلات التي تجد بيئة مناسبة لدى العامة. ولكن يبقى وجود هذه المصنفات

مهماً للكشف عن الحراك الاجتماعي السائد آنذاك، فاللغة خزين الأمة، وناقل لما يعتري المجتمعات من أحوال وتطورات.

أهم ما انتهت إليه الدراسة:

1. أن العرب القدماء تنبّهوا إلى موضوع اللاممسوس اللغوي، وآية ذلك أنهم بحثوا في التدابير التعبيرية للإلماح إليه دون التصريح به.
2. تأثر علماؤنا بالمنهج القرآني والنبوي في التلطف، ورأوا أن التلطف رِفعة بالنفس، ودرء لها عن الفُحش والابتذال، فمثّل القرآن الكريم والسُّنة المطهرة أنموذجين ساطعين في رُقي الاستعمال اللغوي.
3. لم يكن للعرب أسلوب واحد في التعبير في تجنب اللاممسوس اللغوي، أو المحظور اللغوي، فعمدوا إلى الكناية والتورية، والتلميح، واستبدال لفظ بلفظ، أو الاختصار والإضمار، أو الإيماء، ولم يقتصروا على طريقة واحدة في التلطف.
4. سار المحدثون على هَدْي القدماء في التعفُّف اللغوي، فوظفوا أساليب القدماء في التعامل مع اللاممسوس اللغوي، غير أنهم أضافوا إليها أساليب جديدة كاستعمال ألفاظ أجنبية للتعبير عن اللاممسوس اللغوي؛ تجنُّباً للحرج وتوريةً عن التصريح باللفظ مباشرة.
5. توسّع مفهوم اللاممسوس اللغوي في العصر الحديث، ليشمل القول في السياسة والدين والجنس، ومثّلت هذه الأقانيم ثالوثاً مُحرَّما تقتضي الأعراف الحذر والاحتراس من الخوض فيها، فراحوا يلمحون إليها حين يناقشون واحداً من هذه المحرمات الاجتماعية دون التصريح؛ خشية العقوبة أو دفعاً للخطر الذي قد يتهدد من يتحدث فيها مباشرة.

6. ترى الدراسة أن اتّباع أسلوب التلطف في التواصل اللغوي هو من باب مراعاة المقام، ووضع الكلام لمقتضى الحال، وهو استحضار للأدب الاجتماعي، وإنجاح للوظائف الخطابية.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في بحث هذا المشكل اللغوي، مع يقيني أن في الجعبة الكثير لقوله، ووضعه في المشاريع البحثية في قادم الأيام.

ولله الحمد من قبل ومن بعد والحمد لله رب العامين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد محمد الحوفي وبدوي طبانة،(د،ت، د.ط) دار النهضة، مصر

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي(282-370هـ)تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، 1964، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الأضداد في اللغة، 1900، المطبعة الحسينية، القاهرة.
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط5، 1984، مكتبة الانجلو المصرية
- أنيس، إبراهيم، اللغة القومية والعالمية، د،ط، 1970، الناشر طبعة دار المعارف، مصر
- أوكان، عمر، اللغة والخطاب ، ط1، 2000، الناشر أفريقيا الشرق، المغرب
- أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة، كمال بشر، 1962، دار الطباعة القومية، القاهرة.
- ايجلتون، تيري، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، ، ط1، 2005، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت
- بالمر، أف، آر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة،(د،ط)، 1985، الناشر الجامعة المستنصرية
- بركة، بسام، اللغوي، الذاتي، الجسدي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع49-53، 1988
- برهومة، عيسى، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، ط1، 2002، دار الشروق، عمّان.
- برهومة، عيسى، معجم المرأة، ط2، 2010، وزارة الثقافة، الأردن.
- برهومة، عيسى، مقدمة في اللسانيات، ط1، 2005، (د.ن) عمّان
- بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ط3، 1997، دار غريب، القاهرة

- الثعالبي،أبو منصور إسماعيل، فقه اللغة وسر العربية، د،ط،1970، دار الكتب العلمية، بيروت
- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل، النهاية في الكناية، الكناية والتعريض، تحقيق: فرج الحوار، (د.ط، د.ت) دار المعارف للطباعة والنشر، تونس
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، 1960، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ)، الحيوان،د.ط، 1996، دار الجيل، بيروت
- جبل، عبدالكريم حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، 1997، طبعة دار المعرفة الجامعية.
- الجرجاني، محمد بن علي، التعريفات، (د.ط، د.ت)، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- الجُرجاني، عبد القاهر،(ت471 أو 474هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط5، 2004، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ط1، 1984، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، (د.ت)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط2، 1979، دار العلم للملايين، بيروت.

- حسام الدين، كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، (د.ط، د.ت)، مكتبة الانجلو المصرية.
- حسام الدين، كريم زكي، الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، ط1، 1991، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- حسام الدين، كريم زكي، المحظورات اللغوية، 1985، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، (د.ط)2001، عالم الكتب، القاهرة.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، (د.ت،د.ط) دار الثقافة، الدار البيضاء.
- حجاج، كلود: إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ترجمة: رضوان ظاظا، ط1، 2003، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سبتمبر 1978، ع9،عالم المعرفة، الكويت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، د.ط، 1978، دار الكتب العلمية، بيروت.
- خليل، حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ط2، 1992، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، (د.ط)، 1982، مكتبة لبنان، بيروت.
- الراجحي، عبده، اللغة وعلوم المجتمع، ط2، 2004، دار النهضة العربية، بيروت.
- الراجحي، علي بن عبد العزيز، التلطف في الأساليب العربية، (د.ط)، 2011، http://www.shamela.ws
- الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، ط2، 1995، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت
- رضوان، شفيق، علم النفس الاجتماعي ، ط1، 1996، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت

- ر.هـ. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ع227، نوفمبر 1997
- زكريا، ميشال، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ط1، 1986،الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ط1، 1982، المؤسسة الجامعية للنشر.
- أبو زلال، عصام الدين، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، (2001)،رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة،
- أبو زيد، محمود، اللغة في الثقافة والمجتمع، (د.ت،د.ط)، دار الكتاب، القاهرة.
- أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة آليات التأويل، ط4، 1996، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت
- سابير، إدوارد، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغانمي، 1993، المركز الثقافي العربي، بيروت
- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة
- سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل عزيز، ط2، 1988، الناشر بيت الموصل
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، 1990، عالم الكتب، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط2، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، (د.ط)، 1999، وزارة الثقافة، عمان.
- شتا، السيد علي، علم الاجتماع اللغوي، ط1، 1996، الناشر مؤسسة شباب الجامعة

- عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، (د.ت،د.ط) مكتبة الخانجي، القاهرة
- عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ط3،1987، مكتبة الخانجي، القاهرة
- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، 1985، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ط1،2001، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق.
- عبد الكريم، خليل، العرب والمرأة حفرية في الإسطير المخيم، ط1، 1998، دار الانتشار العربي، بيروت، لندن، وسينا للنشر، القاهرة.
- عبد الواحد، حورية، اللغة والمرأة أطروحات عربية في التحليل النفسي، ترجمة: حسن عودة، ط1، 2006، دار بدايات، سوريا.
- عزوز، أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية،2002، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- عفيفي، السيد عبد الفتاح ، علم الاجتماع اللغوي،1995, دار الفكر العربي، القاهرة
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،ط1993،4،عالم الكتب، القاهرة
- عمر، أحمد مختار، نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية، مجلة كلية الآداب والتربية / الكويت، ع 13، 1978م
- أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي، بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، ط1، 1985، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء
- غادمير، هانس، فلسفة التأويل، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط2، 2006 ، االناشر لدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت

- الغامدي، منصور محمد، صوتيات العربية، ط1، 2000، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- الغذّامي، عبد الله، المرأة واللغة،ط1، 1996، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
- غصن، أمينة، نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة، ط1، 2002، دار المدى للثقافة، سوريا.
- غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ط1، 1988، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- غيرو، بيار، علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبي زيد، ، ط1، 1986م،منشورات عويدات، بيروت، باريس
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويمي، (د.ط)1964 مؤسسة بدران، بيروت.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت395هـ)، مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام هارون، 1949، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق ومراجعة: محمد علي النجار، (د.ت،د.ط) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، (د.ط)، 2000، الناشر أفريقيا الشرق، المغرب
- فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، د،ط، 1954، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- فوكو، ميشال، إرادة المعرفة، ترجمة: مطاع صفدي وجورج أبي صالح، د.ط، 1990، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- قدور، أحمد، العربية الفصحى المعاصرة،1991، الدار العربية للكتاب، تونس.
- قدور، أحمد محمد، المدخل إلى فقه اللغة العربية، ، 1991،جامعة حلب، حلب.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد ابن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 1990، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، في العشق والباه، سلسلة الجنس عند العرب، ط3، 2007، منشورات الجمل، ألمانيا.
- كامل، مراد، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، د،ط، 1963، الناشر معهد الدراسات العربية العالية
- كايوا، روجيه ، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، ط1، 2010، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- كرد علي، محمد، أمراء البيان، ط3، 1969، دار الأمانة، بيروت.
- كنوان، حسين، تحليل النصوص المفهوم والضوابط، مجلة التسامح، عُمان، ع11، ص134، سنة ثالثة، 2005
- لاكان، جاك، اللغة، الخيالي والرمزي ، إشراف مصطفى المسنادي، ط1، 2006 ، منشورات الاختلاف.
- لعيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة،1980، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام.
- لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقدر، ط1، 1987، الناشر النادي الأدبي للثقافة، جدة.

- المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ، ط7، 1981، دار الفكر، بيروت
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: محمد احمد الدالي،ط1، 1986، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، (د.ط)، 1985،(د.م.ن)
- مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير: محمد امارة،ط1، 2002، دار مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإستراتيجية.
- محمد،كامل وعويضة، محمد، دراسة علمية بين علم النفس والعلوم الأخرى، ، ط1، 1996، دار الكتب العلمية.
- مسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق: أحمد أمين والسيد أحمد صقر،د،ط، 1951م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، (د.ط)، 1987، مكتبة لبنان، طبعة بلونين ميسرة، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، (711هـ)، لسان العرب،(د.ط،د.ت) دار صادر، بيروت
- الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث،
- الميداني، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، 2003، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ناصر، عمارة، اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي،ط1، 2007، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، بيروت.
- النفزاوي، سيدي محمد، الروض العاطر في نزهة الخاطر، ط3، 2007، سلسلة الجنس عند العرب، منشورات الجمل، ألمانيا
- هلال،عبد الغفار حامد،علم اللغة بين القديم والحديث، ط 3، 1989, مطبعة الجبلاوي.

- وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، (د.ت)، ط7، دار النهضة، مصر للطباعة
- ياقوت، محمود سليمان، فقه اللغة وعلم اللغة،1995، طبعة دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

Abstract

Methods of Gentleness in Arabic Language

By:
ShereenBassamFarhanSmara

Supervised:
DR. MuneerTaiseerShatnawi
Associate Professor

This study tackled methods of gentleness in Arabic language " Linguistic Taboo Model" aiming at extracting linguistic taboos from linguistic corpus including dictionaries and classified printed work .

This study comprised three chapters. The first chapter addressed language and society where the chapter highlighted six issues; the concept of language in the point of view of old and contemporary linguists; language system, language and social communication, language and linguistic development, language and context and finally the issue of language features.

The second chapter , on the other hand, studied the semantic aspect of language and how language develops hand in hand with its semanticfeatures and how an indecent word can shift and transform to be a classy valued one. The chapter also focused on how vocabulary can move form its general context to be part of specific context and vice versa.The third chapter dealt with linguistic taboos where words can be seen as they really are and the chapter focused on when a word can be seen as unacceptable or appropriate one .

The study concluded that linguistic taboos have their own roots in Arabic heritage as linguists paid a lot of attention to such taboos and exerted linguistic efforts to transform these taboos and transform them into appropriate terms. Also, society plays a key role in building up a taboo or forbidden language in use and society is considered the major element for enabling cultures to be exposed to openness or isolation.